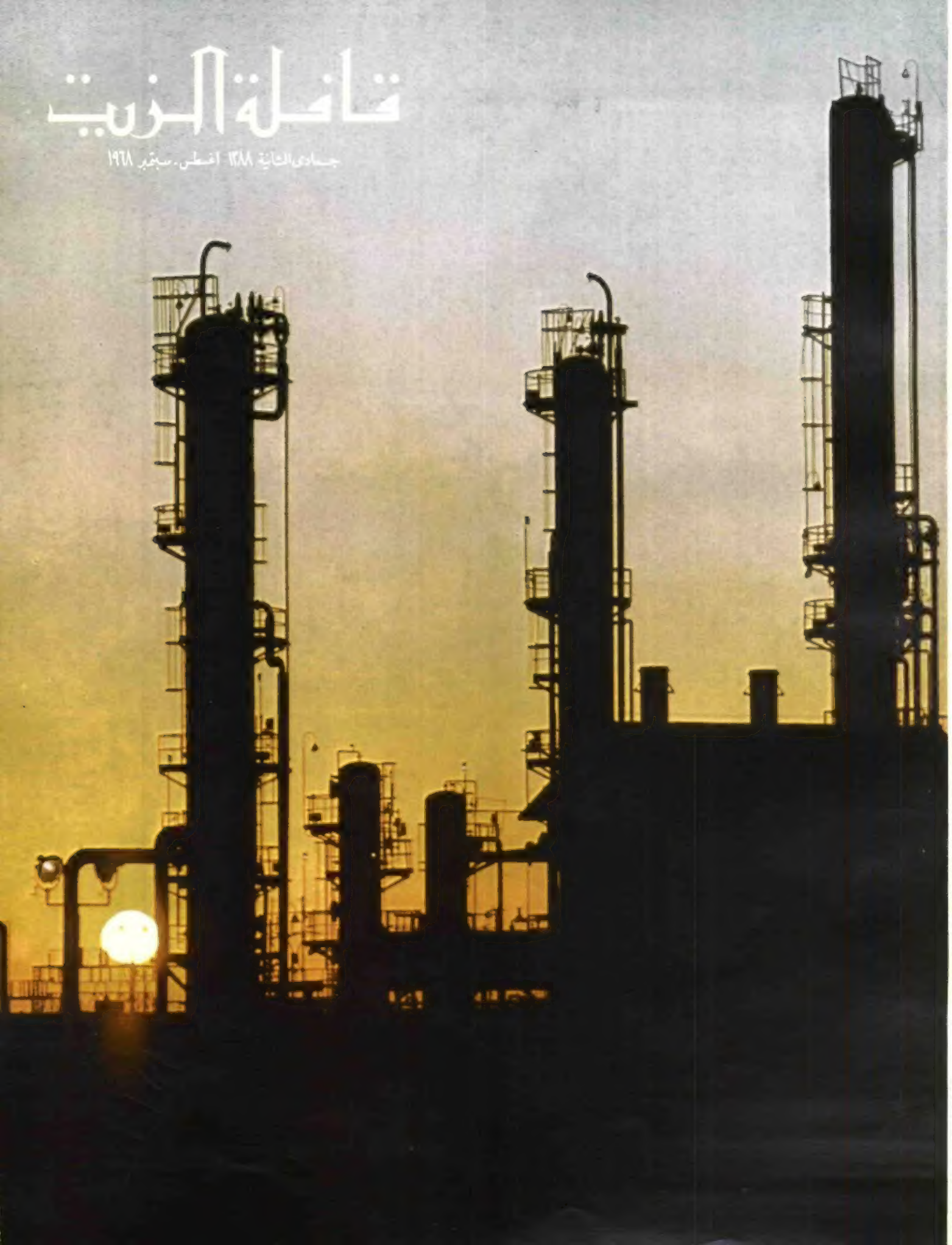


قناة الزيت

جمادى الثانية ١٣٨٨ أغسطس - سبتمبر ١٩٦٨



تصديقاً لشهرياً عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزع مجاناً

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
المحرر المساعد

منصور مبدني
عمون أبو كشك

الظهران، المملكة العربية السعودية

يَجُوزُ الْاِقْتِبَاسُ وَالنَّشْرُ مِنْهَا ذَوَاتُ
اِذْنٍ مُسَبِّقٍ عَلَى اَنْ تُذَكَّرَ كَمَصْدَرٍ

صورة المؤلف

منظر ليلي لأحد مرافق معمل التكرير
في رأس تنورة .
تصوير : برنت مودي



مطابع المطوع

تبريز - ٩٥٠٠ : جلاله المطوع ، بيا ٢٨٧ - عام الفلك القويمة الإسلامية - ١٤١٦ هـ

Fax: (+98) 021 260841 Sand ALLO - Tel: (+98) 021 260841 BUREAU@MPTC.COM - E-Mail: MPTC@MPTC.COM

محتویات العید

القافلة تسير

بُحَاث .. لا آلات تسجيل رئيس التحرير ٢
آداب

٥ محمود الشرفاوي	الرحالة العرب ولماذا كان أكثرهم من المغرب
٨ أنور العطار اللغة العربية (قصيدة)
٩ أحمد طاشكندي الجامعات وأثرها في دراسة الأدب
٢٠ الدكتور محمد حاج حسين الشعر العربي والملاحم
٢٢ الياس قنصل في كنف الظلام (قصيدة)
٢٣ فهمي بدوي مع الظرفاء

علوم

الأشعة دون الحمراء والأشعة فوق البنفسجية الدكتور نقولا شاهين ١١
(تمكّن العلماء من تطوير استخدامهما في مجالات عديدة)

تاریخ

بماذا أنصح الناشئة ؟ الدكتور أحمد فؤاد الاهواني .. ٣١

استطلاعات

٢٥ مراحل تكرير الزيت الخام ع.ع. (صناعة ضخمة تؤمن الكثير من المنتجات الضرورية للإنسان)

مصنع الألبان الوطني في الخبر ع.ع. ٣٩
(دعامة جديدة فـى صرح النهضة الصناعية في المملكة)

٤٧ تحديد مواطن البلهارسيا عصام العماد
(حملة دراسية واسعة النطاق لمكافحة هذا الوباء الوبيل)

تاریخ

٣ مشاهد من تاريخ مكة « ٧ » أحمد السباعي

٣٣ امرأة هزمت كسرى سلمان جابر

(من بطولات ذوات السوار)

مقالات

لقاء مع الأستاذ عثمان حافظ عزت إبراهيم ١٧

قصه

عصا المجنون عبد الله جفري ٤٥

کتاب

مضير الدكتور عارف قياصة ٣٦
الحركة الأدبية في العالم العربي ٣٨

مستوعات

٧ من تراث العرب
٣٥ طرائف
٣٧ كار بكانير

مَحَاثِرُ لَا آلَاتُ تُجِيلُ

مختلف الناس في تحديد معايير تطور الأمم ، وتقييم مستوى تقدمها باختلاف وجهات نظرهم ، فمنهم من يقيس تقدم الأمة وتحضرها من الوجهة العلمية بمقدار ما لديها من معاهد وجامعات ، ومنهم من يبنى تقييمه على مظاهر الصناعة ومعطياتها الحضارية بعدد ما لديها من مصانع . وهناك معايير أخرى لسننا بصدها الآن .

ترتفع صيحات تطالب بفتح المزيد من الجامعات والمعاهد ، استنادا على المعيار العلمي ، فلا كيان لأمة بدون العلم ينهله ابناءؤها من منابعه الأصيلة . والجامعات والمعاهد - في نظر هؤلاء - دور لصقل الكفاءات ، وتفجير الطاقات ، والعلم غذاء الروح والفكر ، وباني الأجداد والحضارات ، لا تستقيم بدونه حياة حرة كريمة لفرد أو لمجموعة ، وبه تبلغ الأمم ما تصبو إليه في مدارج الرفعة والرقي .

وصيحات أخرى ترتفع ، مناهضة لسابقتها ومعتمدة على المعيار الصناعي لتقدم الأمم ، تطالب بإنشاء المعامل والمصانع ، يعتقد أصحابها بأن المصانع تأتي قبل الجامعات في مراتب الأهمية . فهي التي تدفع إلى فتح الجامعات التي نحتاجها مجموعة معينة في وقت معين . والعلم - في رأي هذه الفئة - أداة للرياضة الفكرية والعمل اليدوي

معا . فإذا قصر على الفكر - كما هو الأمر في معظم الجامعات - عقم ، وإذا تجاوزته إلى اليد أخصب . فكان الاختراع والاكتشاف . وكلا الفريقين مصيب في بعض ما ذهب إليه ، فعصرنا - عصر التقنية - أصبحت فيه الجامعات والمصانع مرتبط أحدهما بالآخر كما لم تكن كذلك يوما ، وأصبحت العلوم النظرية والتطبيقية وحدة متماسكة وضرورة لا غنى عنها لأمة ترنو إلى التطور والتقدم .. ولا خير في تعليم لا يسبقه تخطيط ، ولا يقترن بتطبيق .

وكما تغير مفهوم العلم تغيرت طرق إيصاله إلى طالبه . فبالأمس كنا نجلس في مقاعد الدرس نستمع إلى شرح المعلم لساعة أو بعض ساعة ، تمضي فيأتي غيره يتحدث فسي موضوع آخر .. ونحن سكوت نستمع ، فإن بدرت منا حركة لكلام أمرنا بالصمت والانصات إلى شيء قد لا نعي منه شيئا . ولذلك كان علينا حفظ كثير من النصوص عن ظهر قلب . وكأننا آلات تسجيل تكتنز بما يخزن فيها ، فإذا جاء الامتحان طرحت ما لديها دونما فهم أو ادراك أو تصرف .

أما اليوم فقد افتقد الطلاب الطيور التي كانت على رؤسهم ، وأصبحوا - في كثير من المعاهد والمؤسسات - هم الذين يتكلمون من بعد اختبار

وبحث وتدقيق ، والأساتذة ينصتون ويراقبون ، فإذا حاد طالب عن الطريق السوي أعادوه إليه وأرشدوه إلى الطريقة المثلى ، ثم تركوه يغوص وحده أو مع رفاقه - في بطون الكتب وعيون المراجع ، أو في خضم المشاكل الحية ينقدون ويحللون ويقارنون ويمحصون حتى يصلوا إلى الحقيقة بأنفسهم ، فترسخ في أذهانهم رسوخا ثابتا . ومعظم عمل الطلاب من هذه الفئة جماعي فيما بينهم ، وكأنهم في ذلك يطبقون قول القائل « رأيان خير من رأي واحد ، وثلاثة آراء خير من رأيين » .

هم في بلوغهم الحقيقة يجدون لذة وإيما للذة ، فتضاعف رغبتهم في العلم والبحث والتدقيق ، ويزدادون ثقة بأنفسهم ، ونظرة صائبة دقيقة نحو الأمور لا تتأثر إلا بالحقائق ، ويدركون ميزة العمل الجماعي ، فيشقون طريقهم إلى معتزك الحياة ، وخضمتها الرحيب ، مجتدين بسلاح المراس والخبرة والمران ، من أجل النهوض بأمتهم والارتقاء بها في مدارج التطور والرقي والازدهار .

وبعد ، فما أحوج الأمم في يومنا هذا وفي غدنا إلى جامعات ومصانع معا وإلى بحاث لا آلات تسجيل

رئيس التحرير

مشاهد من تاريخ مكة



بقلم الاستاذ احمد السباعي



ألا تمشي ؟
لا .. لا يهلك هذا الغبار المنعقد فليس لنا
به من شأن .. وإذا بدا لك إلا أن تكشف قصته
فدونك هذه الربوة .. انها تطل على سوق الحزورة
حيث تتشابك الدروب لتتحد في جادة واحدة
الى مساقط المسفلة .

أترى ؟ انهم نفر من آل صيفي يتوالبون
في قم الدرب الذي أفضى بنا يوم أمس الى باعة
الأصنام .

انها دون شك حمية الجاهلية ربما اثارها
قينة من فتيات صقلية أو بنات الروم ، فهن
كثيرات في مداخل هذه الدروب المتفرعة من
سوق الحزورة .. ربما عشق الرجل من آل صيفي
ذات دل منهن ، فتأبى حميته إلا أن يمنعهما
عن غيره .

وتستطيع الآن أن تفهم .. فهذا النفر من بني
عبد العزي يتجهرون أمامك تحت سقفة
الحناطين في العدو الأخرى من السوق ، لعل
بعضهم حاول الفتاة ، فشار غريمها من
آل صيفي ، وثار لثوته من قومه هذا النفر
الذي تشهد ، كما ثار من بني عبد العزي لصاحبهم
من ترى . فاحتدم الجدل واشتبك القتال الذي
انعقد غباره قبل أن ينفص . واحسب انه ما انقضى
إلا ليستأنف من جديد ، بدليل هذه الحركات
المستيرية التي تشهداها بين العدوتين على حواشي
السوق .

بين عهدين ..



ألم أقل لك قبل اليوم انه مجتمع محلول ؟
وانه رغم مميزاته الحضرارية كان ينتظر من ينقذه
من تراثه ومباده .

وسألني قبل اليوم عن قصة هذا الدرب
(درب باعة الأصنام) في تجاهل من يعرف أن
قصاد « مكة » وحجاجها من سائر الأطراف
في بوادي العرب كانوا لا يودعونها قبل أن يزودوا
من أصنام هذا الدرب بجملته ، ينصبون بعضها
في بيوتهم ليتوجهوا بعبادتهم اليها ، أو يهدون
منها الى من يرونهم بعبادتها من ذوي قرابتهم
وأهلهم .

لك أن تضحك من كل هذه المهازيل ، على
أن لا تنسى موقف النبي - صلوات الله عليه -
من أباطيلها . لقد آلمه ما يرى فأحس احساسا
صادقا انه مسئول عن القضاء عليها . وكان
لا يملك من ديناه الا ايمانه ، والا احساسه
بأنه مختار لأعمال هذا الاقتاذ .

هو ذا على صحيرات أبي قبيس في مدارج
الصفاء : « يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف
يا بني زهرة ، يا بني تميم ، يا بني مخزوم ،
يا بني أسد : ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي
الأقربين » .

كانت صحيحة ، ولكنها صحيحة من لا يملك
الا أن يندر نفسه لها . لقد تقاذفته السخرية يومها ،
وتنادته الأصوات المغرصة ، وأهاب به أبو لب
من جوف الوادي : « تبا لك » ألهذا جمعنا ١٤ »
« تبت يدا أبي لب وتب ، ما أغنى عنه ماله
وما كسب » .

هل يفت في عضده مثل هذا الصدى
العاتي ١٤ ؟ لا ، فهو أكبر من هذا
وأرفع .

ثمت فرق بين أن تبرز اقرانك وتبدو عظيمًا
في أمتك وبين أن تطيع هؤلاء الاقران بطابعك
وتصنع أمتك من جديد . فأنت في الأولى
عظيم في التاريخ ، وأنت في الثانية صانع
للتاريخ .

وعظماء التاريخ حفل التاريخ بهم . واحتشدت
بسرهم فصوله المطولة ، أما صانعو التاريخ فأولئك
هم الندرة التي لا يوجد بها الدهر في مئات
الأجيال ولا يظفر بهم التاريخ الا مرة بعد ملايين
من فصوله .

وسيدنا العظيم ، الذي غضب لثرهات مرت
بك في مكة ، كان صانعا للتاريخ ، بل وأكثر
من صانع اذا شئت ، فهو لم يطبع جيلا واحدا ،

ولم ينشئ أمة واحدة ، ولم يصنع قلمه قارة
واحدة في خارطة العالم . انه طبع دهورا بكاملها ،
دهورا انطوت فيها أجيال ، وستطوي فيها أجيال
وأجيال ، ولا يزال لطابعه جدته ، كما لو لم
تمض عليه الا ساعة من نهار .
وانه أنشأ على سطح الأرض أمما لا تحصى
ألوانها ، ولا تعد لغاتها ، ولا تستقصى أبعاد
مساحتها ، أنشأهم انشاء جديدا أفنى فيه كل
ما ورثوا من أديان ، وما عرفوا من عادات
وأخلاق ولغات .

وان قلمه مضى على ثلثي خارطة العالم في أقل
من مائة عام مضيا استحالته بعده آلاف
الكنائس ، ومئات البيع ، ومئات الألوف من
الهيكل الباطلة الى مساجد يذكر فيها اسم الله
وحده لا شريك له .

انه ابن آكلة القديب بمكة .. كأنه بين
عيني الآن - عليه السلام - بين هضاب أبي
قيس يرسل الصبيحة يهتز لها أبو قبيس ، وتدوي
لها شعاب الهواشم .

كأنه بين عيني الآن يرسل الصبيحة في هذه
الفقار القاحلة بين المروتين فيسمع صداها يدوي
في الهند والتركستان الى روسيا وبولونيا وبلاد البلقان
والترك ، وفي برقة والجزائر ومراكش الى أدغال
أفريقيا جنوبا الى أطراف أوروبا شمالا .. دويا
يهيب بالأديان فتخر طائعة بين يديه ، والعقائد
الموروثة فتستحيل أمامه هباء ، والعصبيات القبلية
والجنسية واللغوية واللونية فتأتي اليه صاغرة يصوغها
كما يشاء ، ويطبعها بما يشاء .

أسألني ؟؟
دونك اذن رأيي ، فأنا ممن يعتقد انه اذا
اعتبر تقدير هذا السيد في أي بلد من العالم
ايمانا فانه بالنسبة اليانا ونحن بني هذه الفقار
التي أقلته يجب أن يعتبر تقديره لدينا أكثر
من ايمان .

أسئغرب ؟؟
لسم يا صاحبي ١٤ ! وأنت تعرف أن نحو
خمسائة مليون مسلم تتجه اليوم نحو بلادنا
نتيجة لما بذل سيدنا العظيم ، ونحو خمسائة مليون
مسلم تنطق اليوم شهادة الاسلام بلغتنا نحن ،
استجابة لصيحته التي دوى صداها من فوق
الصخور التي تظلنا .

تمضي الى اليوم أربعة عشر قرنا ونحن لا نزال
في مكاننا ، تقدس بلادنا هذه الملايين وتنتظر
اليانا باكبار ، نتيجة لصنيع قرشي واحد ، لا تزال

بنيته المقدسة قائمة بيننا .

أسمعني ؟؟

يذكرني هذا بيوم عاصف ماطر اضطربنا
فيه قسوة الطريق في بلد شقيق الى أن نلجأ الى
خباء فلاح صادفنا . وأنا وكذلك واذا العواصف
تسوق اليانا سيدة من شمال أوروبا عاق سيارتها
ما عاق رحلتنا فاقتمحت الخباء علينا . واشتهدت
فيما يبدو أن تقطع الوقت بالحديث معنا ولكنها
كانت لا تجيد غير لغة بلادها ، ولم يكن بيننا
من يعرف لغتها ، فبدأت لغة الاشارة تؤدي
دورها بيننا .

يهما أن تعرف البلاد التي ننتمي
اليها ، فقلنا أننا عرب . وحاولنا
أن نضغظ على كل حرف من كلمتنا على
أمل أن تكون قد درست في الجغرافيا ما يساعدها
على فهم الكلمة أو قرأت في صحف بلادها
بعض ما يقرب لها معناها ، ولكن جهودنا
باءت بالفشل فأثرت وآثرنا معها الصمت .

ولم تمض الا لحظات حتى عمدت الى « ألبوم »
كان في محفظتها ، فشرعت تقلب بين الرسوم
والصور التي اكتظ بها ، فاذا بينها صورة رجل
يصلي . فأسرع أحدنا وكان يجلس الى جانبها ،
فأشار لها بكلمات يديه الى الجهة التي يصلي اليها
الرجل ليفهمها اننا أهل هذا البلد الذي يتجه
اليها المصلي . فما راعنا الا صوتها يندّ عن فرحة
صارخة « مكة .. محمد .. محمد .. مكة » .
أي .. انها « مكة » وانه « محمد » .

ومن غير « مكة » حري بهذه الشهرة ، ومن
غير « محمد » قمين بهذا الصيت الحلي .
فلنكبر فضل محمد ، وتعاليمه ونواهيه فينا ،
وقبلته بين أيدينا ، أكثر مما يكبره كل ناطق
بالشهادتين في تاريخ الأرض .

وبعد .. أتراني يا صديقي بالغت ؟؟
كنت أتمنى لو اتسع النطاق اليوم أمامي ،
اذن لاستعرضت واياك بعض المواقف العظيمة
التي امتاز بها صلوات الله وسلامه عليه في لقطات
خاطفة لتبين العظمة على حقيقتها ولكن جلستنا
اليوم شارفت على نهايتها .

لا .. لا تظنني أنوي سرد ما ترجم له في
فصول مستوفاة منظمة ، فذلك سبيل عني به
فطاحل ، وتوسعت فيه أقلام وأقلام ، واكتظت
به أسفار وأسفار .

ولكنها لقطات ولقطات خاطفة ، فالى جلستنا
يوم نستأنفها

عنما كنت أشتغل بتأليف كتابي « رحلة مع ابن بطوطة من طنجة الى الصين وإفريقيا والأندلس » لفت نظري ذلك الشغف القوي عنده بالرحلة والاصرار على السفر والتعرف الى الناس والبلاد مهما لقي من المشقة والأخطار في البر والبحر ، وهو شغف نجده في مواطن كثيرة من أحاديثه في رحلته .. وهي مخاطر مهلكة ، لولا لطف الله ، ثم شجاعته ، وحيلته ، وصبره .

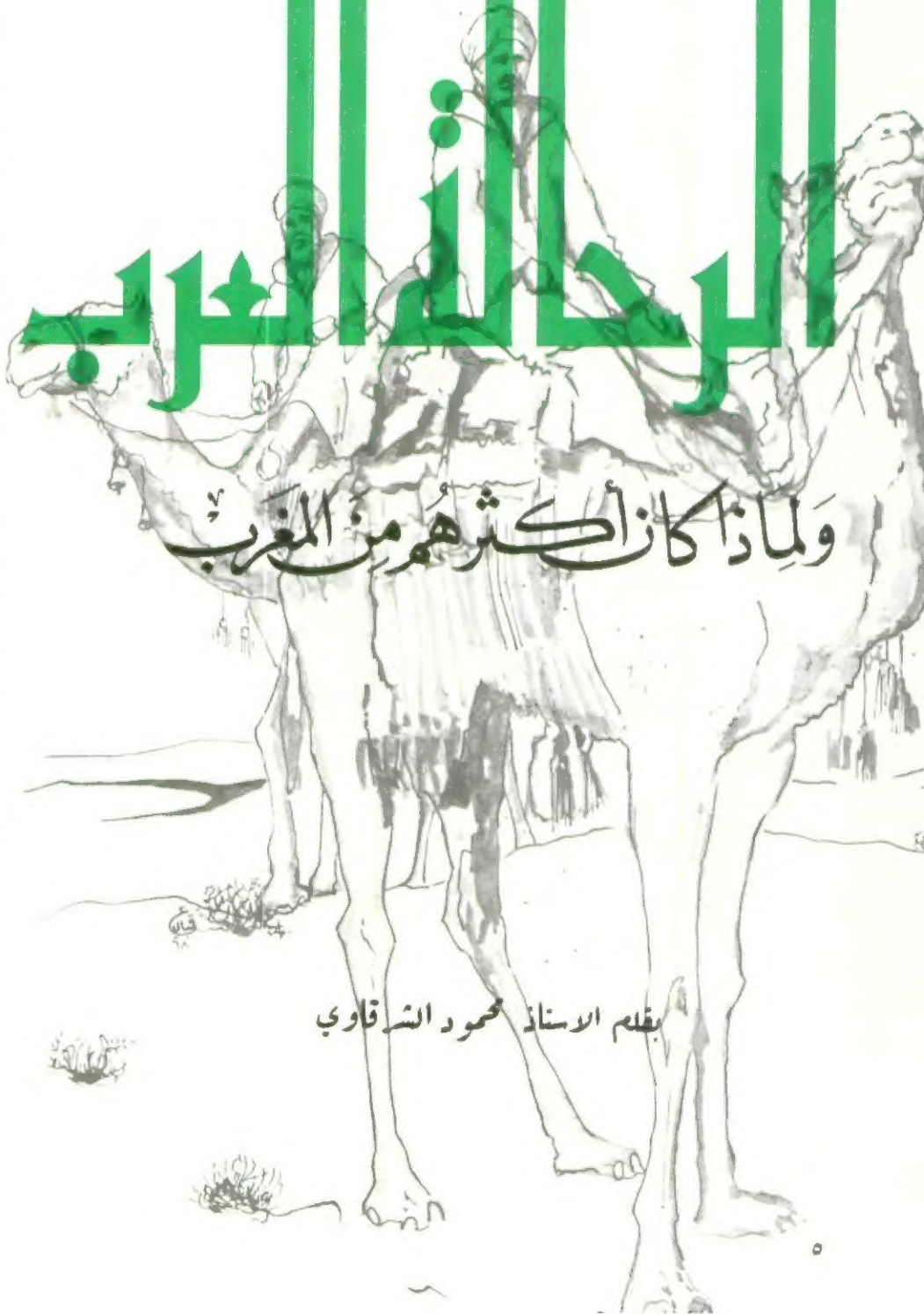
ثم أدركت من أحاديثه عن الرحالة الذين لقيهم في تلك البلاد الكثيرة الواسعة التي جابها ، أن غيره من بلاد المغرب الأفريقي كانوا يجوبون تلك البلاد أيضا . ويذكرهم ابن بطوطة حين يلتقي بهم أو يعرف أخبارهم ، وبعضهم لا تعرف عنه كثيرا ، وقد لا نعرف غير ما كتبه ابن بطوطة عنه .

بل ان بعض الرحالة من بلاد المغرب الأفريقي يشارك ابن بطوطة في تلك الرحلة البعيدة التي نظن أنه انفرد بها بين الرحالة العرب ، وهي الرحلة الى بلاد الصين .

يذكر ابن بطوطة أن من أسعد اللحظات التي مرت به في رحلته كلها حين لقي في مدينة من مدن الصين الكبيرة رجلا يستأذن له ليدخل عليه ، فلما شاهده تأمل وجهه يطيل النظر فيه ، وقد بدا له أنه رآه من قبل . ثم يتعرف كل منهما صاحبه ، فاذا ضيقه هذا هو مولانا قوام الدين السبتي ، من مدينة سبتة من بلاد المغرب ، وبكا كلاهما للقاء صاحبه في هذا البلد البعيد . وحقيقة أن أكثر الرحالة العرب كانوا من بلاد المغرب الإفريقي ، وهي حقيقة واضحة في تاريخنا الجغرافي الأدبي ، وهي محل سؤال يستحق التفكير للجواب عنه .

نجد من الرحالة أبناء هذه البلاد ، قبل ابن بطوطة بأربعة قرون ، محمد بن يوسف الوراق ، الذي مات في سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) ، وقد عاش في المغرب والأندلس ، وكان من نتائج رحلته كتابه « المسالك والممالك » ، وقد فقد الكتاب ، ولكن رفيقه المؤرخ البكري حفظ لنا مقتطفات كثيرة منه ، كما حفظ عنوان الكتاب نفسه .

ونجد من أبناء هذه البلاد في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) الرحالة الأندلسي إبراهيم بن يعقوب الطرطوشي ، وقد طاف بلاد الأندلس ، وزار قسما كبيرا من أوروبا ، كفرنسا ، وألمانيا ، وغيرهما من بلاد شرق أوروبا .



ولماذا كان أكثرهم من المغرب

بقلم الأستاذ محمود الشراوي

محمد من أهل هذا المغرب العربي الرحالة الأندلسي اسحق بن الحسين ، الذي ألف كتابا أسماه : « آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان » ، وقد نشرته المحققة الروسية أنجليا كوداتسي ، وفيه وصف للحرمين الشريفين ، مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وبيت المقدس ، والعراق ، وفلسطين ، وإيران ، ومصر ، والمغرب ، والأندلس ، ثم روما والقسطنطينية وتركيا وبعض بلاد الهند .

ومنهم الرحالة أحمد بن محمد العنبري ، ٣٩٣ - ٤٧٨ هـ (١٠٠٣ - ١٠٨٥ م) الذي زار مكة المكرمة ووصفها ، بعد أن أقام فيها تسع سنين ، وبلاد المشرق ، وألف في ذلك كتابه « نظام المرجان في المسالك والممالك » .

ومنهم الرحالة الكبير أبو عبيد عبد الله البكري القرطبي ، الذي أورد في كتابه « المسالك والممالك » وصفا جغرافيا لشمال أفريقيا ، ومصر ، والعراق ، وبحر قزوين ، وبعض بلاد أسبانيا . وقد طبع كتابه ذلك ، وترجمه إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي « دي سلان » .

ومنهم الرحالة الأشهر الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الذي ولد سنة ٤٩٣ هـ (١١٠٠ م) وقد زار بلاد الأندلس ، ومراكش ، وسواحل فرنسا ، وإنجلترا ، ومدينة لشبونة في البرتغال ، وإيطاليا ، وألمانيا ، وروسيا ، وبولندا ، وجزيرة صقلية ، وآسيا الصغرى ، ووصفها ، وألف كتابه الكبير : « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » . وجاء حديثه عن صقلية وملبكها « روجر الثاني » من أهم وأجود ما كتب عنها وعنه في العصور الوسطى ، كما رسم خريطته المشهورة للعالم ، وهيئة الأفلاك ، والكواكب في نموذج فريد . وكان « روجر الثاني » هذا هو الذي استدعى الإدريسي من شمال أفريقيا وطلب إليه وضع كتاب في الجغرافيا ، كما طلب إليه صنع شيء يمثل شكل الأرض ، فصنع له كرة من الفضة .. وكان ذلك في الوقت الذي لم يكن العالم فيه قد عرف كروية الأرض ، ولم يثبت صدق نظريتها .

وقد التحق الإدريسي بخدمة الملك روجر وعمل في بلاطه ، وكان صديقا له .

ومنهم أبو حامد الغرناطي (٤٧٣ هـ - ١٠٨٠ م) الذي زار مصر ، وجزر سردينية ، وصقلية ، وبغداد ، وإيران ، وبحر قزوين حتى وصل إلى منصب نهر الفولجا . ووضع كتابه : « تحفة الألباب ونخبة الاعجاب » .

ومنهم الرحالة الأديب الشاعر محمد بن جبير الأندلسي ، المولود سنة ٥٤٠ هـ (١١٣٥ م) . وقد زار الاسكندرية ، والقاهرة ، وصعيد مصر ، كما زار جدة ، ومكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والكوفة ، وبغداد ، وسامراء ، والموصل ، ثم زار حلب ، ودمشق ، وبعض بلاد الشام ، ووصفها وهي تحت حكم الصليبيين ، فجاء حديثه عنها وثيقة تاريخية كبيرة القيمة . وبعد ذلك ركب سفينة فزار صقلية في طريق عودته إلى غرناطة التي بدأ منها رحلته قبل عامين . وقد قام برحلة أخرى بعد استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس ، وثالثة ليسلو زوجته الراحلة . ولكن هاتين الرحلتين لا نعرف عنهما شيئا ، ثم مات ودفن في الاسكندرية سنة ٦١٤ هـ (١١٨٥ م) . وتعرف رحلته الأولى باسم : « اعتبار الناسك في ذكر الآثار القديمة والناسك » .

ولكن ابن جبير . حين قام برحلته يرافقه رحالة آخر هو أبو جعفر أحمد ابن الحسن بن أحمد بن الحسن القضاعي ، من بلدة أندة ، بولاية بلنسية في الأندلس ، وكان أبو جعفر هذا طبيبا ، له في الطب « تقييدات » مفيدة ، مع مشاركة في فنون العلم ، كما قال المقرئ في الجزء الأول من كتابه « نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب » .

ومنهم الرحالة أبو الحسن الغرناطي الذي اشتهر بابن سعيد ، وقد ولد سنة ٦١٠ هـ (١٢١٤ م) ، وقام برحلاته المعروفة في أكثر البلاد الإسلامية من المغرب إلى مصر ، وسورية ، والحجاز ، والعراق ، وإرمينيا ، ثم مات في دمشق سنة ٦٦٣ هـ (١٢٦٥ م) ، على أرجح الروايات ، أو فسي تونس سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) في رواية أخرى .

ومنهم نور الدين علي بن الوزير ، قال عنه صاحب « فوات الوفيات » : « .. علي بن موسى ابن سعيد المغربي الأديب نور الدين ، ينتهي إلى عمار بن ياسر . ورد من المغرب ، وجال في الديار المصرية ، والعراق ، والشام ، وجمع وصنّف » . وهو صاحب كتاب : « المغرب في أخبار المغرب ، والمشرق في أخبار المشرق ، والمرقص والمغرب ، وملوك الشعر » . توفي بدمشق في شعبان من سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٥ م) .

ومنهم الرحالة محمد بن رشيد الفهري الأندلسي ، وقد ولد سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م) ، وخرج من المربة ، فسار في الشمال الأفريقي ، ونزل مصر ، ثم بلاد الشام ، والحجاز ، ووصف البلاد التي زارها في رحلة اختار لها اسما طريفا ،

هو : « ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الوجهة الواجبة إلى الحرمين ومكة وطيبة » ، ورحلة أخرى غير هذه في بلاد الأندلس .

ومنهم محمد بن أحمد التيجاني الذي خرج من تونس عام ٧٠٦ هـ (١٣٠٩ م) فزار في طريقه إلى الحج مصر ، وجزيرة صقلية .

ثم جاء بعد ابن بطوطة من أهل المغرب المؤرخ الرحالة « ابن خلدون » صاحب فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع ، وكاتب المقدمة والتاريخ . ولد سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) ومات سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) .

وبعده قام من أهل المغرب أيضا الرحالة الجغرافي عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري الذي توفي سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤) . وقد وضع معجما جغرافيا نقد فيه سلفه العظيم الإدريسي .

ش جاء مغربي آخر نال شهرة غير قليلة هو « ليو الأفريقي » الذي يكاد يكون آخر الرحالة والمؤلفين الكبار في محيط الرحلات والجغرافيا في تلك البلاد . ويعرفه أهل البلاد العربية باسم الحسن بن محمد الوزاز الزياتي القاسي ، ولكن اسمه يرد في كتبه التي صنفها في أوروبا على أنه « يوحنا الأسد الغرناطي » (١) . والأرجح أنه ولد في غرناطة . وبعض مؤرخيه يقول أنه ولد في فاس ، وقد عرف الحسن بن الوزاز باسم « ليو الأفريقي » لأنه وقع في أسر سفن أوربية فقتضى بقية حياته في روما ، وسمي باسم « جيوفاني ليو » أو « ليو الأفريقي » .

وقد زلر الوزاز بلادا إسلامية كثيرة في أفريقيا وغيرها ، ووضع كتابا عن مشاهداته فيها ، كتبه في روما . ومات في تونس سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) .

ومنهم أبو محمد العبدري البلنسي الذي خرج في رحلته من المغرب سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) ، فهبط مصر ، ومنها إلى الحجاز ، ثم بلاد الشام ، ومنها إلى مصر مرة أخرى ، حتى عاد إلى وطنه .

ومنهم أبو عمر بن عبد الله بن رشيد الأندلسي ، بدأ رحلته من غرناطة فزار الشمال الأفريقي ، ومصر ، والشام ، ودامت رحلته هذه نحو سبع سنين .

وهناك رحلات أخرى قام بها رجال من وطن ابن بطوطة ، ووصفوا مشاهدهم فيها ، وقد حفظت الرحلات ، وجهت أسماء القائمين بها . ثم قامت بعد ذلك سفارات كثيرة من بلاد الشمال الأفريقي إلى استانبول بعد استيلاء الترك على هذه البلاد ، ولكنها كانت ذات صبغة رسمية لا علمية .

ولم تكن الأغراض الأدبية هي وحدها دافع هؤلاء الرحالة الى السفر والرحلة ، فنحن نجد منهم من طوّف بلادا كثيرة يدرس النبات والأعشاب فيها ، كابن البيطار المالقي ، الذي رحل من مالقة بالأندلس الى مصر ، والشام ، وآسيا الصغرى ، وبلاد اليونان ، يدرس نباتها وأعشابها التي تستعمل في عقاقير الطب . وكان قبل ذلك قد طاف بلاد المغرب أيضا لهذا الغرض . وكان من ثمرات رحلاته هذه أن ألف كتابيه : « الجامع في الأدوية المفردة » ، و « المغني في الأدوية المفردة » .

وبذلك يكون أدب الرحلات في بلاد المغرب الأندلسية والعربية قسما كبيرا هاما من هذا الإنتاج ، أو كما يقول المستشرق « كراتشكوفسكي » في كتابه « تاريخ الأدب الجغرافي العربي » : « وقد أثبت نمط الرحلة بجداوة أنه أكثر الأنماط مقاومة ورواجا ، غير أن اهتمام المغاربة به كان يتجاوز اهتمام الأندلسيين . وظل هذا الاتجاه مزدهرا بين ظهرانيهم ، حتى اختتمه ابن بطوطة ، فاختم بذلك في نفس الوقت سلسلة الرحلات العربية ذات الأهمية العالمية . »

عن الظاهرة ووضحها . أما عن السبب ، فأعتقد أنه توجد عدة أسباب ، أولا سبب عام يشترك فيه أكثر هؤلاء الرحالة ، وربما كلهم ، وهو الرغبة في أداء فريضة الحج . فالحج فريضة مقدسة يحرص القادرون من المسلمين على أدائها في جميع العصور ، ولأداء هذه الفريضة خرج هؤلاء الرحالة من بلاد المغرب الى الشرق يقصدون مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، ويزورون في طريقهم اليهما بلادا أخرى . وهذا ، كما قلنا ، سبب عام يشترك فيه أهل المغرب وغيرهم .

ومن الأسباب الخاصة بأهل المغرب أن الحضارات الاسلامية التي قامت في العصور الوسطى ، وما سبقها ، كان موطنها الشرق ، أي بغداد ، والشام ، ومصر ، وكانت هذه البلاد بحضارتها ذات بريق ومكانة كبيرة في بلاد المغرب الافريقي والأندلسي ، تجعل من زيارتها أمنية عزيزة وغاية مرموقة يسمى اليها الرحالة المغريون ، ليتعلموا على شيوخها ، ويشهدوا مظاهر حضارتها وثرائها ، التي بهرت عيون من زارها ، وشوقت لزيارتها من لم يزورها .

نجد هذا التقدير للشرق عند أهل المغرب ، و « الانبهار » لما سمعوه من أخبار حضارتها في كثير من كتب هؤلاء المغاربة وأحاديثهم ، ومن ذلك ما قاله شعرا ابن حزم الأندلسي ، وجعله سببا لخمول شأنه ، فهو يرى أنه كالشمس ينير في سماء العلوم ، ولكن ذنبه أنه خرج في الغرب ولم يكن من أبناء الشرق ، ولو كان منهم لكان له في العلم والجاه والمثالة مكان خطير وصيت كبير . ومن عيوب قومه أنهم يتشوقون للبعد ويحنّون له ويكبرونه ، وقرب المرء منهم ذنب له عندهم . يقوم ابن حزم :

أنا الشمس في جو العلوم منيرة
ولكن ذنبي أن مطلعي الغرب
ولو أنني من جانب الشرق طالع
لجد على ما ضاع من ذكرى النهب
فيا عجباً ، من غاب عنهم تشوقوا
له ، ودنو المرء من أرضهم ذنب
وسبب آخر ، هو ما عرف عن أبناء المغرب من قوة الجسد ، ومتانة البنية ، وحب المخاطرة ، والصبر على المشقة ، وعدم اللصوق بالأرض



حسن الجواب يستوجب العفو

• سار المأمون مع يحيى بن أكثم ، وبينما هما في الطريق إذ خرج عليهما رجل فجأة ، فنفرت منه دابة المأمون ، وألقته على الأرض ، فأمر بضرب عنق ذلك الرجل ، فقال : يا أمير المؤمنين امهلي حتى أكلملك ، وأفعل ما بدا لك . قال : قل وأوجز . فقال : ان الرجل المضطر يركب الصعب من الأمور وهو عالم بركوبه ، ويتجاوز الأدب ، وهو كاره لتجاوزه ، ولو أحسنت الأيام مطالبتني لأحسنت مطالبتك ، ولأنت على رد ما لم تفعل أقدر مني على رد ما قد فعلت ، فعطف عليه المأمون وقال ليحيى : ألا تنظر مخاطبة هذا الرجل ثم عفا عنه واعتذر إليه .

فضيلة العرب

• لما تم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ، جاءته وفد المهتئين ، فكان منها وفد فيه زياد والأحنف ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ، أشخصت إليك أقواما الرغبة . وأقعد عنك آخرين العذر ، فقد جعل الله في سعة فضلك ما يجبر به المتخلف ، ويكافئ به الشاخص . فقال معاوية : « مرجأ بكم يا معشر العرب ، أما والله لئن فزلت بينكم الدعوة ، ولقد جمعكم الرحم ، ان الله اختاركم من الناس ليختارنا منكم ، ثم حفظ عليكم نسبكم بأن تغير لكم بلادا تتجاز عليها المنازل ، حتى صفاكم من الأمم ، تصفية الفضة البيضاء من خبثها فصنونا أخلاقكم ، ولا تدنسوا أنسابكم وأعراضكم ، فان الحسن منكم أحسن لقربيكم مني ، والقيح منكم أقيح لبعديكم عنه » فقال الأحنف : « والله يا أمير المؤمنين ، ما نعدم منكم نائلا جزيلا ، ورأيا أصيلا ، ووعدا جميلا ، وان أحاك زيادا لتنج آثارك فينا فنستمتع الله بالأمير والمأمور ، فانكم كما قال زهير :

وما يك من خير أتوه فانما
توارثه آباء آبائهم قبل

وهل ينبت الخطي الا وشيجه
وتغرس الا في منابتها النخل

وليس قيس بن عمار لبنيه

• لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال : يا بني احفظوا عني ، فلا أحد أنصح لكم مني . اذا مت فسودوا كباركم ، ولا تسودوا صغاركم فيفسدوا الناس كباركم وتهونوا عليهم ، وعليكم باستصلاح المال ، فانه منبهة للكرام ، ويستغنى به عن القنيم . وإياكم ومسألة الناس ، فانها آخر كسب الرجل .

وصف اللسان

• وصف بعض البلغاء اللسان فقال : اللسان أداة يظهر بها حسن البيان ، وظاهر يخبر عن ضمير ، وشاهد ينبك عن غائب ، وحاكم يفصل به الخطاب ، وناطق يرد به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجة ، وواصف تعرف به الحقائق ، ومعز ينفي به الحزن ، ومؤنس تذهب به الوحشة ، وواعظ ينهي عن القبيح ، ومزين يدعو الى الحسن ، وزارع يحث المودة ، وحاصد يتأصل الضغينة .

اللفظة العربية

للشاعر أنور العطار

موجهة الى أبنائي طلاب كلية اللغة العربية
في الرياض • حرسه العربية • وحفظه الكتاب •

ولولاك كان البيان العدم
وخدن البقاء وضر العظم
ولب الباب وروح الحكم
وزنقة نديت بالكرم
إذا حفلت بشمار القلم
فيا رب لفظ جرى كالنغم
وطاب القريض بها وانتظم
وشدو التابيع بين الأجرم
ومحو الرجال وصب الحمم

وأعلي مكانك بين الأمم
وحفظ اللغات لحفظ الحرم
وأنجيك من زيع أهل النقم
ومن كائس يتجرى التهم
وذلك فلي السمع منه صمم
وما ظلك السمع الا حرم
وحبل الأخرى لا ينصرم
وحل بنا دأبه المخترم
ولا تشتهي الحرب بعد اللطم
إذا الصد قطع منا الرحم

هي النغم الساحر الملتئم
وما عرف الحب من لم يهم
وهل هي الا هواي العدم
وبرح القيام ولذع الألفم
وما العربية الا الظمم
بها عصم الله من قلد عصم
تجل على راضات الدعم
تزيد على هاميات الديسم
وبالمصطفى أفردوا بالشمم
وما عرف الجور شرع حكمم
وكانوا قديما رعاة الغنم

وناسه الصرف اما نهم
ومبتدا القول والمختمم

أيما لغتي أنت وميز القدم
ويما لغتي أنت ترب الخلود
لسان الكتاب وفصل الخطاب
وربحانة رويت بالعملا
تميم المعاني بها كالغصون
وتساب ألقاظها كاللحون
توشى بها الحر بحر البيان
إذا ما استقرت فجع الحمام
وأما استثيرت فشدك الجبال

أصونك ما عث صون النفيس
وأرعاك رعية أهل الوفاء
وأدفع عنك أذاة العداة
فمن حاقس يتقرى العيوب
فذاك فلي الطرف منه عمى
وظلك تأوي اليه الحياة
بك الله وثق حبل الاغواء
ولولا أياديك عم الشقاق
فقد يجتوى العيش بعد الوثام
ولا ينفع السود ود القريب

هي الكلم الطيب المنتقى
وما همت دهرى الا بها
وهل أنا الا فتاها المشوق
حلل لعيني فيها الشهاد
فما العربية الا الحمى
بها أنزل الله قرآنه
وكان لبنانها دعمة
وكان لروضها ديممة
وكان لفينانها نعمة
به بلغ العرب أوج الكمال
إذا حكموا لم يجر حكمهم
رعوا أمم الأرض لم يأتلوا

فيا لغتي أنت عطر الخلود
ويما لغتي أنت لمن الوجود



بقلم الأستاذ أحمد طانقندي

بدأ بنشر مقالاته النقدية على صفحات مجلة «الثقافة» ومجلة «كلية الآداب»، ثم جمعها في كتاب أسماه «من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده». ثم طبق منهجه هذا في دراسة بعض الشخصيات والحركات في الأدب العربي في كتابه الموسوم «دراسات في الأدب الاسلامي».

وقد تناول في كتابه الأول بعض نواحي الدراسة النفسية في الأدبين الأوربي والعربي القديم، وعرض لمناهج النقاد والدارسين في الأدب الحديث ومدى افادتها من علم النفس واعتمادها عليه، والمؤلف في الواقع لا يلتزم مدرسة بعينها من مدارس علم النفس، بل يفيد من نتائج دراسات

هؤلاء الدارسون على الأدب العربي، أصاب النقد بمعناه الواسع حظا كبيرا من العناية. ولقد أفادت العلوم الحديثة، وخاصة علم النفس، المهتمين بدراسة الأدب ونقده.

ان الدراسات النفسية ثمرة من ثمار الدراسات الجامعية في النقد الحديث. فلقد عني قسم الفلسفة بجامعة القاهرة بتدريس علم النفس، وصدرت عن أساتذته دراسات قيمة في هذا الموضوع، أود أن أضع أمام أنظار القراء خلاصة وافية لها في هذا المقال.

ان أول من عني بتطبيق نظريات علم النفس على الأدب ودراسته هو الأستاذ محمد خلف الله، عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية. وقد

أخبرت الجامعات الحديثة التي نشأت في بعض البلاد العربية، كالقاهرة وبيروت ودمشق، تدعو الى منهج جديد في دراسة الأدب ونقده، قائم على الأفادة من المناهج الغربية.

يقول الدكتور محمد يوسف نجم في أحد بحوثه الأدبية عن الفنون في عصرنا الحاضر:

كانت دروس المدرسين ورسائل طلاب الدراسات العليا واختبارات طلاب البعثات، الأساس العلمي الركين الذي بنيت عليه الدراسات الأدبية في مصر وسائر البلاد العربية منذ بداية العقد الرابع من القرن العشرين. وبالإضافة الى الدراسات التطبيقية التي أجراها

الباحثين في هذا العلم ، ويحاول تطبيقها في دراسة الأدب . وهو يلمس الافادة من العلوم المختلفة ، كعلم الجمال والاجتماع والتأريخ في دراسة الأدب ونقده .

وصدر عن الأساتذة الجامعيين دراسة نفسية أخرى ، وهي دراسة الأستاذ حامد عبد القادر في كتابه « دراسات في علم النفس الأدبي » . وقد قسمها الى أربعة أبواب تحدث في الأول عن المباحث النفسية ، وفي الثاني عن العمليات العقلية المؤثرة في الانتاج والتقدير الأدبي ، وفي الثالث عن الفنون وسر الجمال فيها ، وفي الرابع قدم منهاجاً تفصيلياً للنقد الأدبي ، قائماً على علم النفس .

دراسة أخرى للأستاذ مصطفى يوسف بعنوان « الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة » ، تعتبر فتحاً في الدراسات النفسية النظرية .

والى جانب هذه الدراسة ، هناك العديد من المقالات التي كتبها المتخصصون في علم النفس ، ظهرت في المجلات العربية خلال السنوات القليلة الماضية .

ولقد حاول الأستاذ محمد النويهي أن يستغل الدراسات النفسية في دراسة الأدب العربي ، فدعا إليها دعوة مخلص في كتابه « ثقافة الناقد الأدبي » ، وطبقها على ابن الرومي ، وشار ابن برد ، وابي نواس ، تطبيقاً لا يتسمي الى العلم أو الأدب ، ولكنه منهج خاص في النقد ليس فيه الا التكلف والمشقة الشديدة ، يحيل الدراسة الأدبية الى دراسة في الحواس وأجهزة جسم الانسان المختلفة .

ولقد استأثر النقد الأدبي — بمعناه العام — ونقد الشعر ، بجهود النقاد العرب ، على مرّ السنين . واختلط الاثنان ، حتى لم يعد بالامكان التمييز بينهما . فاذا تحدث الناقد عن الأدب ونقد الأدب ، فهو انما يعني بالأكثر الشعر ونقد الشعر .

ولشعر دولة ورجال — كما يقال — ولهذا أجدني عاجزاً عن التحدث بأسهاب عن نقد الشعر ..

فأنا لست بشاعر ينظم القصيد ، وإن كنت أحب قراءة الشعر ، وخاصة ما اصطلاح على تسميته بالشعر العمودي ، لا الشعر الحديث أو المنشور .

وهناك العديد من الفنون الأدبية الأخرى ، التي استأثرت على مرّ السنين ، بعناية النقاد والأدباء . وعلى سبيل المثال ، فقد لاقت المسرحية عناية كبيرة من النقاد ، نظراً لارتباطها بالمسرح والتمثيل ، لأنها كانت في الأدب العربي الحديث فناً أدبياً مزدهراً .

والمعروف أن رائد النقد المسرحي هو محمد تيمور ، الذي تتقّف بثقافة مسرحية عميقة ، حين درس الحقوق في فرنسا ، وعالج الكتابة للمسرح ، ولو أن هذا لا يعني أن تغفل دور غيره من نقاد المسرح كنفولا نقاش ، وسليم البستاني ، وفرح انطون .. فلهؤلاء محاولات عديدة قيمة في نقد المسرحيات .

ولو نظرنا الى الخطابة باعتبارها أحد الفنون الأدبية منذ قديم الزمان ، لوجدنا أنها لاقت الشيء الكثير من النقد الأدبي . فلقد كان لها عند العرب أهمية خاصة ، أما اليوم فتكاد تصبح كالمقالة الذاتية .. مصيرها الى زوال .

أما موضوع القصة ، فقد نال من عناية النقاد الشيء الكثير . ومع أن الكتب التي ألّفت فيه ما تزال قليلة ومحدودة ، الا أن المقالات التي كتبت عنه في بعض البلاد العربية عديدة لا حصر لها .

اهتمت بعض المجلات العربية كمجلة « السياسة » الأسبوعية ، في مصر ، بموضوع القصة ، فنشرت الأفاضل والدراسات النقدية والتأريخية عن القصة . كما أن مجلة « المكشوف » ، في لبنان قد أخذت على عاتقها مهمة الترويج لفن القصة ، باعتباره اللون الأدبي الأكثر شيوعاً في هذا العصر ، وباعتبار أن الأدب العربي مفتقر اليه ككل الافتقار .

وهناك لون آخر من ألوان الأدب كاد أن يندثر في هذه السنين وأعني به فن السيرة . فعلى الرغم من أن الأستاذ الراحل عباس محمود العقاد قد ألّف عدة كتب اشتهرت بالعقريات ، فان معظم النقاد

نظروا إليها على اعتبار أنها كتب تأريخية ، وانتقدوها على هذا الأساس لا على أنها كتب سيرة . هذا في الوقت الذي كان كبار الكتاب والنقاد في بلاد الغرب ، أمثال « ستراتش » و « لودفيج » و « موروا » ، قد اهتموا بفن السيرة كل الاهتمام وأولوه كبير عنايتهم ، ولم في هذا المضمار العديد من الكتب والمؤلفات القيمة .

هذا ما دفع ببعض الأدباء في البلاد العربية ، الى أن يضعوا دراسات مقارنة بين الأدبين العربي والغربي . وأول من عني بالأدب المقارن في الأدب العربي الحديث هو المرحوم فخري أبو السعود في مقالاته التي نشرت في مجلة « الرسالة » ، وقارن فيها بين الأدبين الانجليزي والعربي .

والواقع أن هذه المقالات تناولت هذين الأدبين من حيث وجوه الشبه والاختلاف ، دون النظر بعين الاعتبار الى نظريات الأدب المقارن التي تعني بدراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية بغيره من الآداب خارج حدود اللغة القومية التي كتب بها .

ومن أوائل من عني بالتأليف عن الأدب المقارن هو الأستاذ عبد الرزاق حميدة الذي أصدر كتابه « في الأدب المقارن » عام ١٩٤٩ ، وجاء بعده الأستاذ ابراهيم سلامة فألّف كتابه « تيارات أدبية بين الشرق والغرب — خطة ودراسة في الأدب المقارن » ، تحدث فيه عن مكانة الأدب المقارن وعن العناصر المكونة له والاعتبارات المعوقة لتقدمه ، كما تحدث عن قواعده وقوانينه .

وكخاتمة لهذا البحث عن دور الجامعات في دراسة الأدب العربي ، أحب أن أذكر هنا ما جاء على لسان أحد الأدباء من أن الشعر استأثر بمعظم جهود النقاد في البلاد العربية ، بينما كان حظ الفنون الأدبية الأخرى ، ضئيلاً بشكل ملحوظ . ومن المتوقع أن يولي الأدباء والنقاد تلك الفنون والدراسات الادبية اهتماماً أكثر في المستقبل لاسيما بعد أن ازداد عدد الجامعات ، وكليات الآداب بوجه خاص ، في البلاد العربية ، مما يبشر بالخير على أيدي خريجي الجامعات ■

الأشعة دون الحمراء والأشعة فوق البنفسجية

بقلم الدكتور نقولا شاهين

بين هذا المظهر يوضح الفرق بين التصوير
بالأفلام ذات الأشعة دون الحمراء كما يبدو في
الصورة اليمنى ، والتصوير بالأفلام العادية كما
يبدو في الصورة اليسرى .



يكتف الانسان بمشاهدة نور الشمس ، وما يحدث بسبب ذلك من تطورات في شتى نواحي حياته ، بل راح يبحث في خواص الضوء ليفسر ما يجري حوله بصورة علمية ، كانعكاس الضوء عندما يقع على سطح مصقول ، وانكساره عندما ينتقل من الهواء الى الماء أو الزجاج ، الى ما هنالك من أمور مختلفة ترافق ظاهرة الضوء . وقد مرت آلاف السنين ، قبل أن يدرك العقل البشري ، ان الضوء يسير بسرعة محدودة ، ويستغرق زمنا معينا لينتقل من مركز الى آخر ، لأن المقاييس في هذا الحقل كانت تفوق مقدرة الوسائل التي كانت في حوزة الانسان اذ ذاك . وهنا يبرز خيال الانسان كأداة فعالة في وضع نظرية تقول : « ان الضوء ينتقل من مكان الى آخر بسرعة ثابتة » . والذي لا ريب فيه أن « الحسن بن الهيثم » هو أول من قال بانتقال الضوء ، وأن للضوء وجودا في ذاته ، وأن الجسم المشف يسمح بانتقال الضوء عبره ، وأن انتقاله لا يتم بدفعة واحدة ، بل يستغرق زمنا محددا وسرعة ثابتة . كما حاول « ابن الهيثم » أن يشرح قضية انعكاس الضوء عن سطح مصقول على اعتبار أن الضوء مؤلف من وحدات منفصلة أو دقائق ، ترتد عن السطح المصقول ، كما ترتد الأجسام الصلبة عندما تقع على سطح ما . وفي عام ١٦٧٦ أقبل العالم الفلكي الدانمركي « روبر » على دراسة هذه النظرية عمليا بمقاييس دقيقة ، وذلك بمراقبة حركة أقمار اصطناعية أربعة تدور حول الكوكب السيار « المشتري » . اذ انها بلورانها حول هذا السيار تغيب عن النظر لفترات . ثم تظهر للعيان . لكن مدة غياب القمر الواحد لم تكن ثابتة . وقد توصل « روبر » بثاقب فكره وعمق دراسته ، الى أن الاختلاف في مدى غياب الأقمار ، له علاقة بحركة الأرض بالنسبة الى حركة المشتري ، اذ أن المشتري يكون حينما مقربا من الأرض وحينما مبتعدا عنها . فأخذ « روبر » هذه الظاهرة وسيلة لدراسته ، فتوصل بعد ذلك الى أن سرعة الضوء هي ١٩٢٠٠٠ ميل في الثانية ، متخذًا قطر فلك الأرض حول الشمس ١٨٦٠٠٠٠٠٠ ميل ، ثم جرى تعديل لهذا الرقم على ضوء التجارب الحديثة ، فأصبح الرقم المقبول ١٨٦٣٠٠ ميل في الثانية . فعلى هذا القياس ، يستغرق وصول ضوء الشمس الينا نحو ثمانين دقائق ، وهكذا نرى أن ما تخيله « ابن الهيثم » من حيث انتقال

الضوء بسرعة محدودة ، أصبح حقيقة علمية تخضع لما يجري من اختبارات ودراسات ، في حقل علم الفيزياء وعلم الفلك وغيرها . طبيعة الضوء وماهيته بقيتا موضوع بحث خلاف زمنا طويلا ، فجاء « نيوتن » عام ١٦٦٦ بنظريته القائلة ، « ان الضوء يتألف من ذرات أو دقائق تنطلق من جسم منير ، فسير بالسرعة نفسها التي عيها « روبر » . ومن هنا نستنتج أن « نيوتن » قد اتفق في نظريته هذه مع « ابن الهيثم » من حيث طبيعة الضوء ، ولكنه جرب أن يبرهن قانون انكسار الضوء عند انتقاله من وسط الى آخر ، فتوصل الى أن سرعة الضوء في الماء هي أكبر منها في الهواء . وقد سلم الناس بنظرية « نيوتن » هذه نظرا لما كانت تتمتع به من تقدير في الأوساط العلمية ، متخذين وسيلة في دراسة الظواهر الضوئية التي كانت معروفة في ذلك العصر ، لا سيما المسار المستقيم الذي تتخذه أشعة الضوء عندما تدخل من ثقب ما ، أو عندما تنكسر عن سطح مصقول ، أو عند انتقالها من وسط الى آخر ، أو عند حدوث ظل لجسم يعترض تلك الأشعة . في تلك الحقبة من الزمن ، كان العالم الهولندي « هوجنس » يعتبر الضوء والاشعاع حركة تموجية ، أي حركة طاقة لا حركة ذرات مادية . وقد أثبت في تجربة له مشهورة ، أن أشعة الضوء تنحرف عن مسارها المستقيم اذا اعترضها حاجز ماء ، وتظهر علائم هذه الأشعة في الظل الذي يحدث بسبب الحاجز المائي . وعلاوة على هذا فقد تبين من النظرية « التموجية » هذه أن سرعة الضوء في وسط كالماء أو الزجاج هي أقل منها في الهواء ، خلافا لنظرية « نيوتن » . وجاءت تجارب العالم الافرنسي « فوكو » عام ١٨٦٣ لتثبت عمليا صحة نظرية « هوجنس » التموجية . كما ساعدت على فهم الكثير من الظواهر الضوئية وتفسير معالمها ، كتداخل الضوء وتفرقه . وبقيت هذه النظرية التموجية سائدة حتى أواخر القرن التاسع عشر . وبموجبها يستدعي انتقال تموجات الضوء توفر وسط يشبه الهواء . بيد أن المعروف أنه ليس هناك من وسط مادي في رحاب الكون ، حيث تنبعث الأشعة وتخترق المسافات الشاسعة ، كما أن الضوء ينتقل في الفراغ بخلاف الصوت . هذه الأمور جميعها جعلت « هوجنس » يلجأ الى فرض وجود الأثير ، الذي اعتبره مادة تملأ الفراغ بين الأجرام السماوية بل وكل فراغ ،

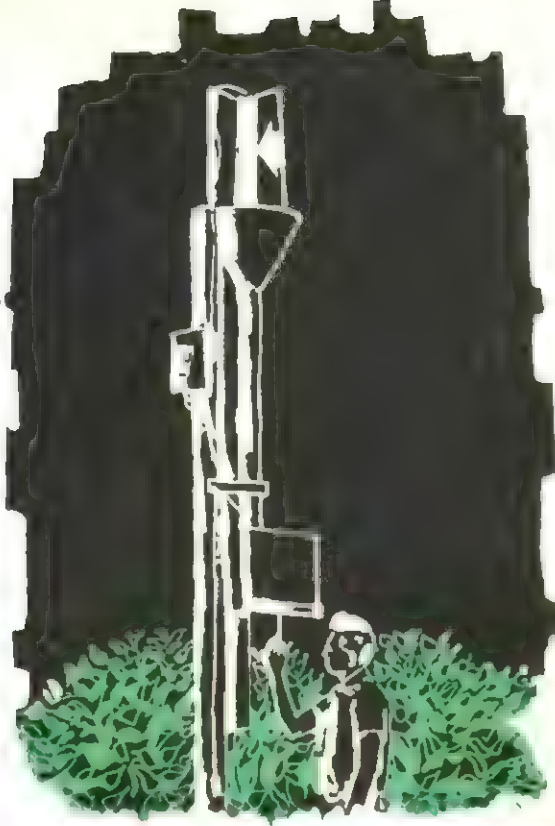
وفي الوقت نفسه يكون وسطا لانتقال تموجات الضوء . فالأثير ، على حد افتراضه ، وسط شفاف للغاية لا وزن له ، فوجوده يخالف خصائص المادة كما هي معروفة لدينا . وقد وافق عدد من العلماء « هوجنس » على ذلك .

ظلّت النظرية التموجية سائدة بين العلماء ، يعملون بمبادئها وأسسها في دراسة عالم الاشعاع وفهم طبيعته . غير أن تقدم وسائل الاختيار العلمي ، والتعمق في فهم خواص الطاقة ، ومن ضمنها الضوء ، كشف النقاب عن حقائق أثبتتها التجارب وجاءت مناقضة للنظرية التموجية . ومن ذلك ما أعلنه العالم الألماني « ماكس بلانك » في سنة ١٩٠٠ عن قواعد نظرية « المقدار أو الكم » ، والتي خلاصتها أن الضوء ينطلق بشكل وحدات منفصلة من المقادير ، تمتصها الأجسام ، أو تعكسها ، أو تفرقها . وهذا يذكرنا بجانب من نظرية « نيوتن » من حيث طبيعة الضوء الذرية ، تلك النظرية التي بشر بها « الحسن ابن الهيثم » قبل « نيوتن » بسبعائة سنة تقريبا . على أن نظرية « المقدار » هذه ، لم تتمكن من تفسير ما كان يعترض العلماء من غموض في دراسة الطاقة كما هي الحال في ظاهرة « التداخل » ، حيث يعتمد الباحثون على النظرية التموجية . وهناك ظاهرة في دراسة الضوء تعرف بـ « الفعل الكهروضوئي » لم تتمكن النظرية التموجية من تحليلها ، بينما أوجدت نظرية « المقدار » تفسيراً لها . وقد تبين من دراسة الكهارب ، أن دقائق المادة لها خواص الأمواج من حيث التداخل وغيره ، مما حدا بالعلماء الى التوصل الى نظرية جديدة هي « الميكانيكا الموجبة » ، وقد تفرع عن هذه النظرية آراء غاية في الأهمية ، ما زالت قيد البحث والدرس في حقل الفيزياء النظرية . والأمر المسلّم به اليوم بالنسبة لدراسة تموجات الضوء هو انها مجرد اضطرابات كهربائية مغناطيسية شبيهة بالاضطرابات الناشئة عن شرارة كهربائية ، وكذلك الأمواج الحرارية ، التي تسير بسرعة الضوء . وهكذا أصبح مدى الاشعاع في منتصف القرن التاسع عشر ، يشتمل على الضوء المرئي ، الذي يتكون من الأشعة الحرارية ، أي التي دون الحمراء والأشعة الكهرطيسية ، والأشعة الكيميائية أي التي فوق البنفسجية . وقد امتد مدى طيف الاشعاع حتى أصبح يشتمل على الأشعة الراديوية ، والأشعة السينية ، وأشعة « جاما » ، والأشعة الكونية . أما الوحدة المعمول بها في

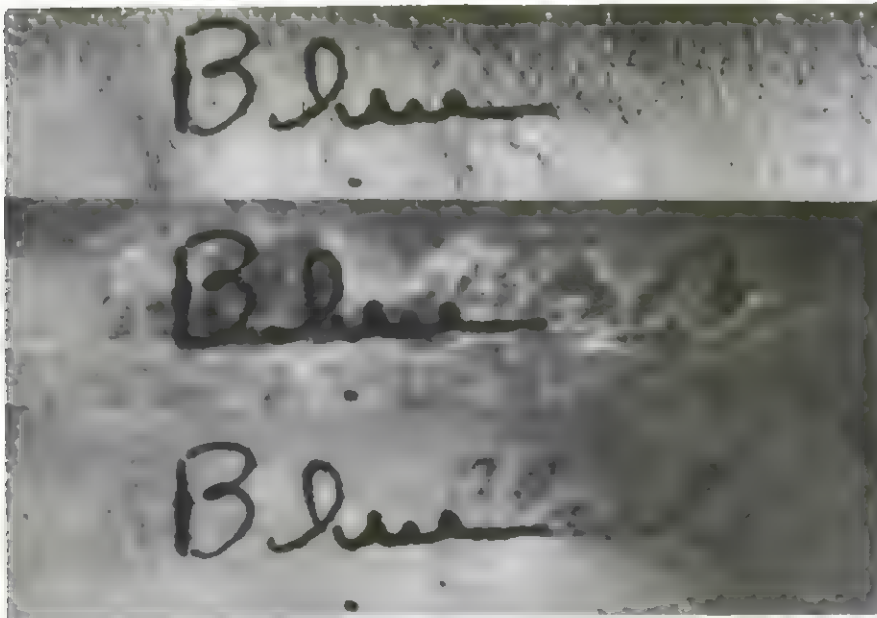


صورتان جويتان لمنظر واحد ، التقطت الصورة العليا بفيلم ذي أشعة دون الحمراء ويبدو فيها
الماء والطرق وسقوف المنازل سوداء داكنة ، بينما التقطت الصورة السفلى بفيلم حساس عادي .





رسم لاحدى المصايد الخاصة بالحشرات التي تطير أثناء الليل ، وقد زودت بمصباح ذي ضوء أسود يجذب الحشرات اليه فتصطدم به وتسقط في القمع . وتستعمل هذه المصائد في الحقول .



قياس أطوال الأمواج فهي « الانفستروم » وهي جزء من مائة مليون من السنتيمتر . وهذه بعض أطوال الأمواج في طيف الاشعاع .
فالأمواج اللاسلكية تتراوح أطوالها من بضعة آلاف الأمتار الى $\frac{1}{1000000}$ السنتيمتر .

والأشعة دون الحمراء تتراوح أطوالها من $\frac{1}{1000000}$ السنتيمتر الى $\frac{1}{1000000000}$ من السنتيمتر .
وأشعة الطيف المرئي تتراوح أطوالها من $\frac{1}{1000000000}$ من السنتيمتر الى $\frac{1}{1000000000000}$ السنتيمتر .

والأشعة فوق البنفسجية تتراوح أطوالها من $\frac{1}{1000000000000}$ من السنتيمتر الى $\frac{1}{1000000000000000}$ من السنتيمتر .

والأشعة السينية تستراوح أطوالها من $\frac{1}{1000000000000000}$ من السنتيمتر الى $\frac{1}{1000000000000000000}$ من السنتيمتر .

هذه عوامل كثيرة ساعدت . ولا شك ، على تطور الانسان في مختلف نواحي حياته . ولعل من أهم تلك العوامل الاشعاع بأنواعه المرئية كنور الشمس وغيرها من المصادر الضوئية ، وغير المرئية كالأشعة الكونية . ولقد ظل الانسان في حيرة تجاه نور الشمس ومن كم لون يتكون ، حتى جاء « نيوتن » في القرن السابع عشر وأجرى تجربته المشهورة ، عندما أدخل أشعة الشمس من ثقب ضيق ، وسلطها على موشور زجاجي ، فوجد أن الأشعة تنفذ من الناحية المقابلة من الموشور ، وتنحل الى ألوان سبعة ، كما يجري في الأيام الممطرة عند انحلال نور الشمس بواسطة قطرات الماء في الجو ، وبالتالي تولد قوس قزح . أما هذه الألوان السبعة فهي الأحمر ، والبرتقالي ، والأصفر ، والأخضر ، والأزرق ، والنيلي ، والبنفسجي ، وجميعها تسير بسرعة الضوء ، لكنها تختلف عن بعضها البعض بأطوال أمواجها . والمعروف أن اللون الأحمر أطولها والبنفسجي أقصرها . أما أمواج الألوان الأخرى فتتدرج في القصر من الأحمر الى البنفسجي . أما بالنسبة للضوء الأبيض فيتكون من ألوان عديدة لا تحصى .

ولا ينتهي مدى الاشعاع هذا عند البنفسجي من ناحية ، وعند الأحمر من ناحية أخرى ، بل يمتد دون الأحمر وفوق البنفسجي . فالأشعة دون الحمراء أشعة حرارية طويلة الأمواج لا تتأثر بها عين الانسان . وقد تبين من تأثير الأمواج التي يتألف منها طيف الشمس المرئي في المقياس الحراري، أن أشعة اللون الأحمر أشد فاعلية من أشعة

كلمة «أزرق» مكتوبة بالحبر صورت على ثلاث مراحل مختلفة ، حيث يبدو الفرق بينها واضحا :

- أ - العليا التقطت بالنور العادي ، فلم يظهر عليها زيف .
- ب - والثانية بالأشعة فوق البنفسجية ، فظهر خلفها كتابة غير واضحة .
- ج - والثالثة بضوء الأشعة فوق البنفسجية المنعكس ، اظهرت الكتابة الاصلية وهي كلمة «أسود» .

البنفسجي . من هنا فقد كان ضروريا أن تصنع أجهزة غير العين البشرية لدرس هذا النوع من الأشعة ، فظهرت بذلك الأفلام الفوتوغرافية والعين الكهربائية التي تستعمل في التلفاز ، لتحويل الأشعة الضوئية الى تيارات كهربائية ، وكذلك في قياس شدة هذه الأشعة .

تعتبر الشمس أهم مصادر الأشعة فوق البنفسجية ، لكن قسما كبيرا منها تمتصه الغازات في جو الشمس وفي الغلاف الهوائي الذي يحيط بالأرض ، فتتضاءل فعاليتها . لذلك اتجهت الأفكار الى توليد هذه الأشعة من مصادر أخرى كالمصابيح الزئبقية . وقد لعبت الأشعة فوق البنفسجية دورا مهما في عالم الطب نظرا لفوائدها العديدة ، فهي تستعمل كتمو بشكل فيتامين « د » ، وكمظهر يساعد على شفاء الجراح بسرعة . وقد أثبتت فعاليتها في معالجة حالات التدرن ، والكساح ، والروماتزم ، وبعض الأمراض الجلدية . غير أن التعرض الطويل لهذه الأشعة يسبب احتراقاً في الأنسجة لاسيما الحساسة منها كأنسجة العين .

من البرودة حدا لا يسمح لها بإرسال أشعة مرئية . بيد أن الأجهزة الحرارية تستطيع قياس المقدار الضئيل من الحرارة الذي يصل الى الأرض من تلك الأجرام . والمعروف ان النجوم المزدوجة ذات أنواع مختلفة ، فمنها ما يتألف من نجمين يظهران للعين المجردة كنجم واحد ، لا يمكن تمييز أحدهما عن الآخر الا بواسطة المقرب . ومنها ما لا يستطيع المقرب التمييز بينهما ، لأن أحد النجمين يكون مظلماً . والقسم الأكبر من النجوم المتغيرة هو من النوع الأخير ، ولم يكن بالامكان معرفة ذلك قبل دخول المطياف « السيكروسكوب » الى المراصد الفلكية ، الذي يمكن بواسطته الكشف عن أجسام تبعث أشعة حرارية غير منظورة .

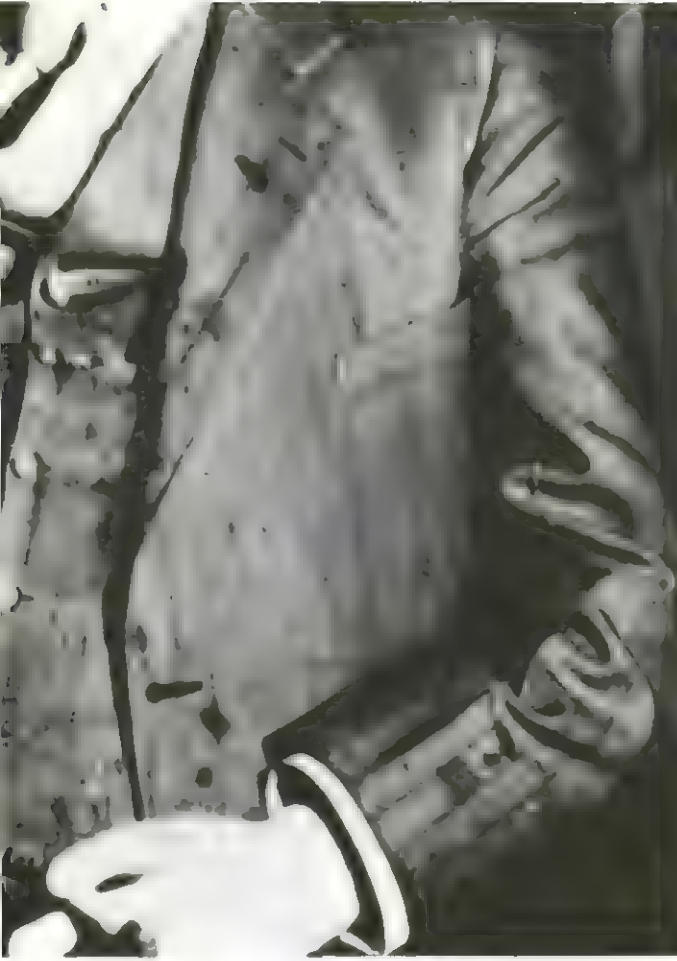
الأشعة فوق البنفسجية فهي التي تؤثر في ترات الفضة على ألواح التصوير والأفلام عند تعرضها للتور في التصوير الضوئي ، ويتعذر على العين البشرية رؤيتها ، لأن أقصر الأمواج التي تتركها العين هي أمواج الضوء

اللون البنفسجي في رفع درجة الحرارة . وان المسبب لذلك هي الأشعة دون الحمراء غير المرئية التي لها تأثير حراري والتي تخضع لقوانين الانكسار والانعكاس والاستقطاب والتداخل ، تماما كما هي الحال بالنسبة للأمواج الطيف المرئي . كما تبين أيضا أن الأمواج دون الحمراء أشد نقاذا في جسم الانسان من الضوء العادي ، لذلك فقد استخدمت في تشخيص الأمراض لتصوير بعض أجزاء الجسم الواقعة تحت الجلد مباشرة . كما استعملت للتصوير في حالة وجود الضباب . والأشعة دون الحمراء هي المصدر المسؤول عن الجزء الأكبر من الحرارة المنبعثة عن الشمس ، والتي تتوقف عليها حياة الكائنات على سطح الأرض . لقد تمكن العلماء من تطوير استخدام الأشعة دون الحمراء في مجالات عديدة ، فأمكن بواسطتها التصوير ليلا في الظلام اعتمادا على الحرارة المنبعثة من الأجسام ، مهما ضلت . كما أمكن بواسطتها الكشف عن أجرام سماوية ، يتعذر تصويرها بواسطة المراقب الضوئية العادية ، لأنها بلغت

كشفت الأشعة فوق البنفسجية أثناء التحقيق عن تزوير في رخصة السيارة هذه التي تبدو في الصورة اليمنى .

TENN. AUTOMOBILE REGISTRATION		STATE OF TENNESSEE		1949
EXPIRES APRIL 1, 1950				
2	C	State Fee	2.50	
Buick 48723805		Clerk's Fee	.50	
1947 240		Total	3.00	
Weight	Tr. Make	Type Body	Old	New
EVIDENCE OF TITLE				
Previous Registration		State	1948 License No.	
Bill of Sale (Check with X)				
Owner's Name Katherine Cunningham				
Street Address 4101 Parkway				
City MEMPHIS		County SHELBY		
Signature of Owner or Agent Katherine S. Cunningham				
This is to certify that the vehicle above described is duly registered with the Department of Finance and Taxation, State of Tennessee, subject to the provisions of Chapter 55, Public Acts of 1938, as amended.				
Date 2/8/49	Commissioner of Finance and Taxation John W. McElhiney		County SHELBY	
This certificate is owner's evidence of title and must be kept with the vehicle.				

TENN. AUTOMOBILE REGISTRATION		STATE OF TENNESSEE		1949
EXPIRES APRIL 1, 1950				
2	C	State Fee	2.50	
Buick 48723805		Clerk's Fee	.50	
1947 240		Total	3.00	
Weight	Tr. Make	Type Body	Old	New
EVIDENCE OF TITLE				
Previous Registration		State	1948 License No.	
Bill of Sale (Check with X)				
Owner's Name Katherine Cunningham				
Street Address 4101 Parkway				
City MEMPHIS		County SHELBY		
Signature of Owner or Agent Katherine S. Cunningham				
This is to certify that the vehicle above described is duly registered with the Department of Finance and Taxation, State of Tennessee, subject to the provisions of Chapter 55, Public Acts of 1938, as amended.				
Date 2/8/49	Commissioner of Finance and Taxation John W. McElhiney		County SHELBY	
This certificate is owner's evidence of title and must be kept with the vehicle.				



صورة لمكواة أخذت في حجرة مظلمة تماما لأنها تطلق أشعة دون الحمراء غير مرئية .

هذه البقع السوداء المتناثرة على هذا « الجاكت » لم تكن مرئية أثناء التصوير بالأفلام العادية ، لكنها ظهرت جلية خلال التصوير بالأشعة دون الحمراء .

لتدرس فيما بعد . بيد أنه يمكن أيضا زيادة التكبير بواسطة المجهر العادي ذي العدسات الزجاجية ، إذا ما سلطنا بعض هذه الأشعة على الأجسام المعدة للفحص ، لأن أجزاء الجسم تتوهج بضوء منظور عندما تتعرض لهذه الأشعة . فالعضلات تعطي ضوءا أخضر ، والعظام تعطي ضوءا أزرق ، والشعر الخفيف السواد يعطي ضوءا أصفر ، وهلم جرا . وهي إحدى الطرق لدراسة تفاصيل الجراثيم وغيرها من الكائنات الحية الدقيقة .

وقد تمكن بعض العلماء من توليد أشعة فوق البنفسجية تسلط على الأجسام ولا تتمكن العين من رؤيتها . وقد استعملت هذه الأشعة لإرسال اشارات غير منظورة . أما طريقة ذلك فهي أن ترسل اشارات بواسطة الأشعة فوق البنفسجية حسب قانون « مورس » التلغرافي ، ولا يدرك هذه الاشارات الا مراقب يحمل منظارا مجهزا بقطعة صغيرة من الزجاج الأورانيومي ، فيشاهد ضوءا يظهر لحظة بعد أخرى

فوق البنفسجية ذات الأمواج القصيرة تولد غاز الأوزون « Ozone » في الهواء ، وهذا يمتص بقوة بعض الأشعة الباقية . وبذلك تلتف بعضها وتجنب المخلوقات الكثير من الأخطار أو الأضرار التي قد تنجم عن التعرض الزائد لها . منافع هذه الأشعة بالنسبة للإنسان انها تكسبه القوة والنشاط ، وبالنسبة للنبات أن يستم بواسطتها التمثيل الكلورفيئي الضروري له ، كما انها تقضي على الكثير من الجراثيم والطفيليات .

ولهذه الأشعة فوائد أخرى يجدر بنا أن نشير الى بعضها . لقد تبين في استعمال المجهر ، أن تكبير الأشياء يتوقف على قصر أمواج النور . ولا كانت هذه الأمواج أقصر بكثير من أمواج النور العادي ، فقد أصبح بإمكانها تكبير الأجسام المجهرية الميكروسكوبية الى نحو أربعة آلاف ضعف ، وهذا يقتضي استعمال عدسات مصنوعة من « الكوارتز » بدلا من العدسات الزجاجية ، تنطبع عليها صور الأجسام

وقد استعملت هذه الأشعة أيضا في تطهير الهواء من أنواع الميكروبات المختلفة وحاملات الجراثيم ، وخصوصا في المدارس والمستشفيات ودور الحضانة ، وذلك بواسطة مصباح خاص معد لهذه الغاية ، فجاء هذا عاملا فعالا في الحد من مدى انتشار بعض الأمراض كالخصبية في بعض البلدان . ومن المعروف أن تعرض الأجسام لأشعة الشمس يعطي البشرة لونا أسمر ، فهذه الأشعة تنبه الجلد وتلونه ، لكن التعرض الزائد لها يسبب احتراقا في البشرة يعرف بالاحتراق الشمسي ، وكثيرا ما يكون على درجة من الخطورة بحيث يحدث بثورا في الجلد يرافقه ارتفاع في درجة حرارة الجسم . وقد يتولد هذا الاحتراق الشمسي في يوم غائم بسبب الأشعة فوق البنفسجية عبر طبقات الغيوم ، كما ان انعكاس أشعة الشمس على سطح الماء أو الثلج أو الرمال قد يسبب هذا النوع من الاحتراق . أما بالنسبة لنور الشمس الذي ينفذ من خلال زجاج النوافذ فانه يفقد القسم الأكبر من هذه الأشعة . والجدير بالذكر أن الأشعة

لقد سافر عمل حافظ



أعيش فيه ، وشغلتي عما حولي من مناظر وروائع ، وأعادت لي ذكريات عشتها حقبا من الزمن ، ذكريات الصبا والجمال ، وولجت نحو « الكازينو » الذي نظم فيه شوقي هذه القطعة الرائعة ، التي استلهمت عبقرية عبد الوهاب في تلحينها وإنشادها ، وشاهدت مظاهر الجمال والفننة التي أوحى لشوقي هذه المعاني الجزلة ، واستنطقت عبد الوهاب بهذا اللحن الذي رفع من قيمة فنه الى الذروة التي كانت طليعة شهرته ، وعلو مكانته في الفن والتلحين .

وما زلت في نشوتي سارحا حتى أيقظني ابني عبد القادر ، وهو يهزني من يدي ويقول : « يقولون لك اشترى لنا من حلاوة زحلة » .

وتشعب بنا الحديث بعد ذلك ، واتجه في مناحي مختلفة حتى حانت مناسبة أسأله فيها عن ذكرياته عن زيارة الدكتورين طه حسين ومحمد حسين هيكل للمدينة المنورة ، فأجاب قائلا : « ليس هناك تقارب بين زيارة الدكتور طه حسين والدكتور محمد حسين هيكل للمدينة المنورة . فالأول زارها متدبا من الجامعة العربية ، لتنسيق الأسس التعليمية والتربوية في البلاد العربية ، وتوحيد مناهج التعليم والمصطلحات العلمية فيها . وقد تحدثت عن هذه الزيارة في عدد المدينة رقم ٩٥٩ الصادر بتاريخ ١٠/٢/١٣٨٧ ، وأرى الاكتفاء بما نشر عن هذا الموضوع ولا داعي لتكراره .

أما الدكتور محمد حسين هيكل ، فقد زار المدينة المنورة بعد أداء نكح الحج والعمرة ، وكان ضيفا على الحكومة في حجه وزيارته ، أكرمت وفادته وسهلت له زيارة المآثر النبوية في المدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرهما .

وقد انتدبت الحكومة كلا من الأستاذ عبد الحميد الحديدي ، والأستاذ سيد إبراهيم

عن أحد هذه المصايف التي كان لها بعض الذكريات لدي ، والتي أجد فيها من الفتنة والخيال ما يأخذ باللب ويستهوئ القلب . سأحدث عن « وادي زحلة » هذا الوادي الذي تغنى به الشعراء ، وقتن به الأدباء ، وشدا بروعته وجماله الفنانون .

ويكاد يكون هذا الوادي من أجمل ما رأيت في لبنان ، ويزدحم أيام الآحاد في الصيف حتى لتصطك المناكب بالمناكب ، لضيق مسالكه وكثرة مرتاديه ، وقد لا تجد مقعدا فسي (الكازينوهات) على كثرتها في هذا الوادي الجميل . أشجار باسقة ، وزهور متفتحة ، ومياه جارية هنا وهناك تتساقط من صدور الجبال وأعاليلها ، يشجك خريرها ، ويبهرك منظرها ، والكازينوهات على حافتي نهرها الجاري ، ونافوراتها الصاعدة .

اعتدت أن أزور هذا الوادي - في **وقد** أيام الآحاد - لأستمع بما فيه من طبيعة سخية ومن ازدحام المصطافين ، ولا أظن أن مصطافا يزور جبل لبنان ، ولا يزور زحلة . وقد استوقفتني هذه المرة ، وأنا بين مناظره الفاتنة صوت منبعث من أحد مكبرات الصوت ، في بعض مقاهيه ، ويخيل اليك ان هذا الصوت يخرج من جذوع الأشجار ومن بين الأغصان حيث تندس مكبرات الصوت . لقد كان صوت محمد عبد الوهاب ينشد قصيدة شوقي المشهورة والتي مطلعها :

يا جارة الوادي طربست وعادني
ما يشبه الأحلام من ذكراك

هذه القصيدة التي نظمها شوقي في هذا الوادي على حافة نهرها الجاري ، أرحاها اليه جماله الرائع ، وقتته الأخاذة ، ومناظره الخلابة . ودخلت مع عبد الوهاب في دوامة لا أول لها ولا آخر انستني كل شيء ، حتى واقعي الذي

يكن قد مضى غير أيام قلائل على عودته من لبنان بعد اجازة قصيرة قضاه في ربوعه حين قابلته في مكتبه بصحيفة « المدينة » التي يرأس تحريرها ، وبعد التهنة بسلامة الوصول كان من الطبيعي أن يكون حديثنا عن الرحلة والاجازة وجبل لبنان ومناظره الجميلة التي طالما استهوت قلوب أدباء وشعراء ، فتحدثوا عنه ، ونظموا القصيد في مغانيه ، فقلت :

— ما مدى ما استمتعت به في هذا الجبل الأشم ، وما هي انطباعاتك عنه ؟

« كنت معجبا بهذا الجبل منذ اللحظة الأولى التي زرت فيها لبنان ، ويرجع ذلك الى عام ١٣٧٨ هـ أو عام ١٣٧٩ هـ ، وأول ما لفت نظري هناك اخضرار الجبال والأودية على السواء . وفي أيام الصيف تزداد الجبال روعة وجمالا حيث تفتح الأزهار ذات الروائح العطرية والألوان الزاهية المختلفة التي تنعش النفس ، وتشرح الصدر ، كما لاحظت أن الأشجار تتحدى الصخور في رؤوس الجبال وصدورها فنتبت من بين الشقوق وتنمو ويشد ساقها حتى تناطح السحب ، فترى الجبل الأشم ، وكأنه غابة من الصنوبر ، لكثرة ما به من أشجار باسقة ، ومن مراعي منبسطة . أما الماء فانه يخرج من منابع صافيا سائغا ، ويندفع من بعضها بقوة ، فلا تستطيع أن تسمع صوت محدثك القريب منك من دوي خريره ، كما هو في نبع الصفا مثلا ، وينساب في بعض الأماكن انسيابا فضيا رائعا ، ليس أجمل منه الا ما يحيط بجوانبه من أزهار متفتحة ، فواحة الأريج ، وجو منعش ، يملأ النفس نشاطا ومرحا ، مثل نبع الباروك و « انطلياس » وغيرهما .

ولا يتسع المجال في هذه العجالة للتحدث عن مصايف جبال لبنان وأوديتها ومغانيها ، فان ذلك يطول ، ولكنني سأحدث ولو باقتضاب

النوري — رحمه الله — لمرافقة الدكتور هيكل في زيارته للمدينة المنورة ، وأقيمت للضيف الراحل عدة حفلات تكريمية ، أقام خلالها أدباء المدينة المنورة حفلا عاما تبارى فيه الخطباء والشعراء للترحيب بالدكتور الأديب ، وترأس الحفل سعادة الأمير عبد العزيز بن إبراهيم أمير المدينة المنورة آنذاك . ان الدكتور هيكل ألقى خطابا ضافيا استمر حوالي نصف الساعة ، شكر المحفلين به على حفاظهم ، وعقب فيه على كل فقرة مما تحدث عنه الخطباء ، وكان خطابه محل إعجاب الجميع وموضع تقديرهم . وكان من خطباء ذلك الحفل الأساتذة ، محمد حسين زيدان ، وضياء الدين رجب ، وعلي حافظ الذي ألقى قصيدة نذكر منها الآيات التالية :

قلعت فشيبت للنبوغ معالم
وهذا النهى والعلم والنبل قادم
فأهلا بسحبان الكلام وقسه
ورب يسراع بأسه لا يرحم
فنحن به اذ نحضي نأت واجبا
ومن ذا بتكريم له لا يساهم
ومن يجعل الذكر الحكيم نظامه
ويغزو له بالعلم رمح وصارم
تسم للمجد الأليل شواهدا

وتنمو به في راحته العظام
 وكان الدكتور هيكل يحمل خطاب توصية من جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز الى أمير المدينة المنورة ، بالعناية به وتسهيل أمر زيارته لخير وبدر ، وقد ألقاه الأمير عبد العزيز بن إبراهيم بالعدول عن زيارة خير لوعورة الطريق ، وعدم سلوك السيارات إليها وقتئذ ، واضطراره الى ركوب الابل أو الدواب في بعض المناطق الجبلية ، فعدل عن زيارتها ، وقد كان متشوقا إليها ، بعد أن أصبح منها قاب قوسين أو أدنى ، وكانت زيارتها ضمن برنامج لزيارة المآثر ومواقع الغزوات . كما حاول الأمير بن إبراهيم اقتناعه أيضا بالعدول عن زيارة بدر لوعورة الطريق ، ولكنه أصر على زيارتها في طريق عودته الى ينبع للسفر منها الى مصر .

وقد اهتمت الأمارة به ، وزودته بكل ما يحتاج اليه في رحلته التي كانت تعتبر مغامرة من المغامرات . وغادر المدينة في العاشر من محرم ١٣٥٥ هـ ، وقد كان في توديعه في عروة وإيبار علي ، جمع من أدباء المدينة المنورة الذين لازموه أثناء اقامته فيها .

وقد أشار الدكتور الراحل الى المتاعب التي

واجهها أثناء رحلته تلك ، في كتابه الذي أصدره عن رحلته الى الأراضي المقدسة ، « في منزل الوحي » . وكان لا بد أن يكون للصحافة نقيب في هذه المقابلة ، خاصة اذا عرفنا أن الأستاذ عثمان حافظ ، قد صاحبها منذ فجر حياتها ، وهي تحبو في خطواتها الأولى ، فقلت :

— الحياة الصحفية ملأى بالمواقف الحرجة ، والمواقف الطريفة ، فما هو أطرف وأحرج موقف مرّ بكم ؟

• الصحافة كلها متاعب ، ومن عرفها بأنها مهنة البحث عن المتاعب ، فقد وصفها على حقيقتها ، غير أن لذة الصحافة في متاعبها ، فاطلبوا اللذة في التعب ، واطلبوا التعب في الصحافة . والمتاعب التي صادفتنا ونحن نصدر « جريدة المدينة المنورة » أكثر من أن يسطرها قلم عاجل : متاعب أدبية ، وفنية ، واجتماعية ، ومالية . وأهم هذه المتاعب وأشقها المتاعب المادية ، وقد لازمتنا منذ أن فكرت أنا وأخي علي في تأسيس المطبعة وإصدار الجريدة .

عسرًا كنت في مصر ، لشراء المطبعة احتجت الى بعض المال ، فطلبت من أخي ارسال نقود ، فأرسل لي سبعين جنيهًا اقترض بعضها ، وعدت الى جدة ومعني ثمانية عشر طردًا تشمل أجزاء المطبعة ومعداتها . ولم يبق معي سوى ثلاثة جنيهات مصرية صرفتها في سفرني الى الطائف لمقابلة الشيخ محمد سرور الصبان ، لتزويدنا بسيارة نقل بها أجزاء المطبعة من ينبع الى المدينة ، وقد ساعدنا فعلا في نقلها . وكنا اذا نفذ الورق أو احتجنا الى حروف أو أي نفقات أخرى للجريدة ، اضطررنا الى أن نصرف من الجيب الحر ، الذي انتهى في آخر الأمر الى المصاوغ والمتاع .

وكانت نفقات المطبعة والجريدة فوق طاقتنا ، اذ كانت مرتبات عمال المطبعة أكثر من ثمانين ريالًا شهريًا ، وقيمة العدد من الجريدة قرش واحد ، وواردها من المبيعات لم يكن يكفي لسد نفقات السكر والشاي وتقديم العشاء لعمال المطبعة في ليالي صدور الجريدة ، ولم يكن العشاء سوى « شريك ومقلي » ، وكانت قيمة الاشتراك السنوي فيها ثلاثة ريالًا سعودية فقط ، ومشارك يدفع عشرة لا يدفعون ، ومن المشتركين من رد الجريدة عندما طالبناه بالاشتراك . هذه بعض متاعب الجريدة المادية ، وهي أيضا من المواقف المحرجة . أما أطرف موقف — أو هو من أطرف ما مرّ بالجريدة — هو أن بعثة ، معظم أفرادها من

الأثراك ، زاروا المملكة ، ورغبوا في زيارة المدينة المنورة في عودتهم الى بلادهم ، وصادف الموعد المحدد لوصولهم — يوم صدور الجريدة ، والمتاد أن تصدر الجريدة صباحا ، ولكننا أرجأنا صدورنا الى حين وصول البعثة ، ونشر خبر الوصول ، أملًا في كسب صحفي .

وقد أقام الأمير عبد الله السديري — رحمه الله — مخيما في المطار لاستقبال البعثة ، خصص منه جناحا لحفلة الغداء التي سوف يقيمها تكريما لهم ، لأنه لم يكن يوجد في المطار في ذلك الوقت أماكن تصلح لاستقبال الضيوف . وكانت جميع المعلومات عن هذه البعثة متوفرة لدينا . وقد كتبنا الخبر ، حسب المعلومات التي لدينا ، وسلمناه لأخي خالد ، وأخبرناه أن يضع شخصا عند أقرب تلفون ، لتتصل به في المطار ونعدهم باللازم ، اذ لا يوجد في ذلك الوقت تلفون بمكتب الجريدة ، واتجهنا الى المطار مع المستقبلين وأوصينا الشيخ حسن مشرف ، مدير لاسلكي المطار آنذاك ، أن يخبرنا عن مراحل رحلة البعثة . وفي حوالي الساعة السادسة والنصف ظهرا ، حلقت طائرة البعثة في سماء المدينة ، وبقيت تحوم حول مطار المدينة المنورة تمهيدا للهبوط . واغتاما للوقت عمدنا أخانا خالد بطبع الخبر ، وارسال خمسين نسخة من الجريدة الى المطار لتوزيعها على أعضاء البعثة .

وكان في الخبر الذي نشر ، تفصيل واف عن البعثة ومهمتها وأسماء أعضائها ، وعن استقبال الأمير وأعيان المدينة وجهاتها وكبار المسؤولين والموظفين الرسميين للبعثة في المطار ، وإقامة حفلة الغداء الفاخرة التي حوت ما لذ وطاب من الأطعمة ، ثم سفر البعثة في طريقها الى تركيا . وطبعت الجريدة ووصلت الخمسون نسخة الى المطار ، والطائرة ما زالت تحوم فوق أرض المطار ، وتارة تبعد عنا وتارة تدنو منا ، وهي على اتصال مستمر بمطار المدينة .

عرضنا العدد على الأمير السديري ، رحمه الله ، في المطار ، فقال : « استعجلتوا » .

فقلنا له نريد كسبا صحفيا وسوف يقرأ هذا العدد مساء اليوم في أنقرة ، فقال : « أحسنتوا » . وأخيرا وبعد فترة طويلة ، أخبرنا السيد حسن مشرف مدير لاسلكي المطار بقوله : « الظاهر أن الكابتن غشيم » لقد عاد الى جدة ، ولم يستطع النزول في هذا المطار ، وتابعا الطائرة ، ونحن في منتهى الحيرة الى أن غابت عن أبصارنا ،

وعدنا الى المدينة مسرعين وتركنا الأخوان الذين طلعوا لاستقبال البعثة التركية يتناولون طعام الغداء الذي أعده الأمير للضيوف ، وعدنا لتعالج مشكلة ما نشر .

وزرنا الأمير السديري - رحمه الله - ولا حديث الا حديث البعثة التركية التي لم يقدر لها الهبوط في المدينة ، وما كتبته الجريدة عن هذه البعثة . وقد أخبرنا الأمير أن عددا من المزارعين في سلطنة ، قد قابله وأخبروه بأن طائفة جاءت ظهرا الى مطار « سلطنة » ، وانها حاولت الهبوط فيه عدة مرات ، وفي احدى محاولاتها حكت عجلاتها بالأرض فأثارت غبارا عاليا ، ثم عادت من حيث أتت ، وتبين ان سوء تفاهم حدث بين القبطان والمطار ، اذ جاء القبطان الى مطار المدينة القديم الذي أسسته حكومة الأتراك في « سلطنة » ، وكانت الطائرات التركية تهبط في هذا المطار ، ويقع المطار بين جبال (الجماعات) الثلاثة ، وسبق ان اصطدمت احدى الطائرات التركية في عهد فخري باشا باحدى الجماعات وقتل جميع ملاحياها ، وعندما حاول القبطان الهبوط في هذا المطار ، وجده ضيقا جدا ثم لم يجد حركة للمستقبلين ، وهكذا كان مديبر اللاسلكي يظن أن الطائرة تحاول النزول في المطار الحالي شرقي « العاقول » بينما كان القبطان يظن أنه المطار الوحيد الذي كان يحوم حوله ، وعاد من حيث أتى ، وعلى اثر هذه الحادثة أزلت الحكومة العلامات التي تدل على وجود مطار هناك .

ومضت أكثر من ساعة قضاهها الأستاذ عثمان حافظ كتابة وتفكيراً ومراجعة لمجلدات أعداد جريدة المدينة ، يتناول بعضها من جانبه تارة ، ويطلب بعضها الآخر من « الأرشيف » تارة أخرى ، فقلت أحسبني قد أكثرت عليك بأسئلتني فليكن هذا هو سؤالي الأخير :

— في حياة أغلب الناس نقطة تحول تغير من مجرى حياتهم ، فهل في حياتكم ما غير مجراها ، من طريق الى طريق ، وهل أنتم راضون اليوم عن هذا التحول ؟

• اشتراكى مع الأستاذ عبد الحق النقشبندى في مطبعة « طيبة الفيحاء » ، وفي توريد الصحف والمجلات ، والكتب الأدبية والعلمية في عام ١٣٤٧ هـ . هذا الحدث ، أو هذه النقطة هي التي غيرت مجرى حياتي ، فقد كان اتجاهي في العمل والكسب هو العمل في احدى وظائف الدولة ، وكنت وقت اشتراكى مع الأستاذ النقشبندى أعمل سكرتيراً هيئة الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر ، وكان راتبى آنذاك أربع مائة وخمسين قرشاً سعودياً ، وبعد أن ألغيت سكرتارية هيئة الأمر بالمعروف في عام ١٣٤٩ هـ ، عينت مدرسا بالمدرسة الابتدائية براتب قدره خمسمائة قرش ، وهي عبارة عن خمسة وأربعين ريالاً .

مسألة لعمل الطباعة على المطبعة الصغيرة التي أملك نصفها ، بدأ يوحى اليّ بأن عليّ وأجبا أدبيا آخر ، وهو اصدار جريدة بالمدينة المنورة ، وكان الأدباء هناك يبحثون هذا الموضوع بنشاط كبير ، وبلغون الأضواء على مطبعة « طيبة الفيحاء » ، ظنا منهم انها تستطيع اصدار جريدة . وكلما تطور البحث حول اصدار الجريدة تبلورت تلك الفكرة لدي ، وأخذت تقوى تدريجياً حتى شغلتني عن أي عمل آخر ، ودفعني الى أن أستقيل من وظيفة التدريس بالمدرسة الابتدائية لأتفرغ لعمل الطباعة وتوسعته ، بحيث يمكن اصدار الجريدة من هذه المطبعة .

وأجريت عدة تجارب - على المطبعة - خرجت منها بنتيجة مخيبة للأمل ، وهي أن هذه المطبعة التي كان حجم طوقها لا يزيد على ٢٨×١٨ سم ، والتي كانت تدار باليد ، لا تستطيع أن تؤمن اصدار جريدة عليها مهما زودت من حروف ووسائل طباعية . وفي محاولة تقوية مطبعة (طيبة الفيحاء) ، فاوضت السيد عبد الحليم أبو خضير أثناء زيارته للمدينة المنورة ، وهو أحد تجار المطابع بمصر ، وعلمت بعد التفاهم معه عن أسعار المطابع والحروف ، ان امكانياتي المادية لا تساعد على شراء مطبعة بكامل معداتها يتسنى لها اصدار جريدة ، ثم حاولت التفاهم مع الشيخ يوسف ياسين ، رحمه الله ، وكان رئيساً للشعبة السياسية والمشرف على الصحافة والطباعة - في ذلك الحين - حاولت تأسيس فرع لمطبعة « أم القرى » بالمدينة المنورة ، على أن تقوم المطبعة باصدار جريدة بالمدينة تنشيطاً للحركة الأدبية ، فباعت تلك المحاولة بالفشل ، فلم أجد استجابة منه لهذا الأمر ، ثم حاولت ثانية مع الشيخ كامل كردي - رحمه الله - لتأسيس فرع « للمطبعة الماجدية » التي كان يمتلكها (آل الكردي) بمكة المكرمة ، وعلمت منه أنه هو أيضاً كان يدرس الفكرة نفسها ، وأنه فاض بعض الأصدقاء في تولي ادارتها ، وأنه قد تم هذا الأمر قبل اتصالي به ، وفهمت منه انه لا يريد شراكة في تأسيس فرع المطبعة ، بل يريد لها فرعاً تابعاً لمطبعته ، وقال فيما قال انه لا يعترف بضرورة وجود مطبعة بالمدينة ، وغمز

« مطبعة طيبة » - رحمه الله - بكلام دفعني الى الاقدام والمغامرة في تأسيس مطبعة كبيرة ، واطار جريدة مهما كلف الأمر .

ولقد عرضت عليّ عدة عروض من بعض الأصدقاء لمشاركتي في تأسيس مطبعة كبرى ، وأخيراً قررت أنا وشقيقي علي حافظ أن نقوم بالأمر دون أن يكون معنا أي شريك آخر ، وأسستنا « مطبعة المدينة المنورة » وأصدرنا جريدة « المدينة المنورة » وقد ظهر العدد الأول منها في محرم ١٣٥٦ هـ ، وكانت أسبوعية في أربع صفحات ، وكنا نتعزم تطويرها وتقديمها ، وحالت الظروف المادية دون تطويرها السريع ، ولكن استطعنا اصدارها في ست صفحات بدلاً من أربع صفحات وذلك ابتداء من العدد ٧٧٢ الصادر بتاريخ ٢٩ رجب ١٣٧٨ هـ ، ثم اصدارها مرتين في الأسبوع وذلك في يومي الخميس والاثين ابتداء من العدد ٨١٣ الصادر بتاريخ غرة جمادى الأولى ١٣٧٩ هـ ، وقد استمرت في الصدور على هذا الحال الى أن أصبحت يومية اعتباراً من العدد ١١١٤ الصادر في ٢٠ جمادى الثانية ١٣٨٢ هـ . وفي أول شهر ذي القعدة من عام ١٣٨٣ هـ تولت ادارتها مؤسسة المدينة للطباعة ، حسب نظام المؤسسات الصحفية الذي أصدرته الدولة في ذلك الحين . وكنت أنا وابن أخي الأستاذ محمد علي حافظ عضوين مؤسسين فيها ، ولا زلنا . فاشتغالي بأعمال الطباعة البدائية الذي لم يكن في بادئ الأمر سوى اجزاء للوقت ، كان سبباً في تغيير مجرى حياتي من العمل الوظيفي الى العمل الحر ، فقد عشت الأعمال الطباعية والصحفية لدرجة الغواية ، وكنت منساقاً بعاطفتي في هذا الأمر لا بعقلي ، فكانت احدى المغامرات الناجحة التي ترتكز على العقيدة والحزم والتصميم .

وقد عدت الى العمل في وظائف الدولة في عام ١٣٦٠ هـ ، وذلك بعد احتجاج الجريدة عن الصدور لعدم توفر الورق أثناء الحرب العالمية الثانية ، وبقيت موطناً طويلاً تلك المدة الى أن وضعت الحرب أوزارها واستعادت الجريدة نشاطها الصحفي ، لأن العمل الصحفي والطباعي لا يغطي النفقات والتكاليف ، فتركت العمل الوظيفي في أول عام ١٣٨٦ هـ . وفي أواسط هذا العام اختارتني مؤسسة المدينة لرئاسة تحرير جريدة « المدينة المنورة » وعدت لمزاولة العمل الصحفي بعد استراحة أربع سنوات « وعادت حليلة لعادتها القديمة » ■ ع.أ.

في كنف الظلام

للشاعر عباس فضل

الظلم الظلام بمعد احجاب
صرى في الدجى يكون عيق
فكان الغبراء اغمي عليها
وكان الحياة قد سمرت بها

اعرض الناس عنه لا لشرور
اعرضوا عنه منذ رأوا انه في
لم يجد ينهم صدقاً كريماً
فأبى عن ديارهم بدمع الوحدة

هو شيخ قبا الزمان عليه
حائر العزم قد تجاوز تبعاً
ظاهرات ضلوعه ، لا يغطي
ليس يمشي اذا خطا اما

واعترى قلبه الضعيف اضطراب
وأصابته نوبة أندرت له
فارتدى يلمس التراب بوجه
فاذا روحه تبيض أنينا

ما بكى الميت دمع رث ولا
اما الرعد الماء نعا
ومضى الغيث حاملاً في ثياه
ما رأى الشبح في الثرى دمع بك

البدن في الأفق حيث تأوى الجرم
وثلاثت معالم وتخوم
ولما نابها مصاب البسم
روبة غالب عليها الوجوم

أو معاص انارها أو أثارها
غمرات القام والبؤس تارها
يعرف النفس عن وبيل أمارها
بالصير ، مغضياً عن أثارها

ورماه بفادح النكبات
من العمر ، شارد النظرات
جلده غير حنة من رفات
برصد رجلبه مقلب العنبرات

ووجف كالوعر بالأشواق
انه بات والردى في عراق
واجف ، وهو فاقد الإدراك
واذا جمه بدون حراك

امتت به لحظة من الأبناء
بحروف من يرقه الوفاء
ترائيم رحمة وعزاء
فكنت موقه دموع السماء

الشعر العربي ربي والملاحم

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

ثم تبددت وضاعت في مطاوي الزمن ، وعفت عليها الأيام ؟ ان الشعب العربي يتفجر بالشاعرية وتمجيد البطولات ، فلا غرو اذا اتجه الى شعر الملاحم كما تحتمه طبيعة الأشياء . أقول هذا ونحن لا نعرف شيئا عن الحقبة المديدة التي عاشها العرب قبل العصر الجاهلي . فالشعر الجاهلي الذي وصل إلينا لا بد من أن يكون قد سبقه شعر كثير اذ جاءنا مكتمل الاداء ، رائع النظم والديباجة ، وهو شعر غنائي محض . والمعروف أن التطور الأدبي يحتم أن يتسلسل الشعر ملحما ثم يتطور الى غنائي وفق رقي الأمة ، وسيورتها في الحياة المتشابكة وتقيدها . فليس من المعقول أن يولد الشعر العربي غنائيا ، فهذا أشبه بطفل يولد ، وله أسنان .

ويقول الجاحظ أن الشعر العربي حديث الميلاد ، غير متقادم العهد ، وهو لا يرقى الى أكثر من مائة وخمسين عاما قبل الاسلام . وهذا الرأي ساذج الى حد بعيد ، فالشعر العربي ولد منذ أن وعى العرب في الجزيرة وجودهم . فقد هتفوا بالشعر ، ومثلوا فيه عواطفهم وجدوا فيه الأنشودة العذبة التي يترنمون بها حاملة في طياتها خفقة قلوبهم . غير أن هذا الشعر قد تناثر أبانيد ، وليس لدينا سوى الافتراض الذي يتسق مع التطور الفني لوجوده . لذلك أعتقد أن العرب قبل العصر الجاهلي قد نظموا روائع الملاحم الشعرية التي تفيض بالخواب ، وعاشوا على أنفاسها الحية ، وأغانيها الماجدة ، وبطولاتها اللاهية ، ثم أسدل عليها الستار ، وطونها يد النسيان .

والشعر الجاهلي الذي وصل إلينا بعيد عن الملحمة لأن العرب في هذه الفترة قد اجتازوا مرحلة الطفولة ، وتطوروا الى الشعر الغنائي ، وأصبحت لديهم الأصول الشعرية الغنائية التي نأت بهم عن الملحمة ، وتجاوبوا مع البيئة الصحراوية التي أملت عليهم هذا اللون من الشعر الذي كان قصة حياتهم ، ومجلى نفوسهم ، ومستودع آمالهم وآلامهم .

لقد كان من المستحيل على شعراء العرب في الجاهلية أن يتكروا الملحمة المنشودة لأسباب عديدة أهمها :

ثم يتطور الى شعر غنائي وتمثيلي . ومرد هذا الى تطور النفس البشرية ، وانسجامها مع أجواء الشعر ، التي تعترف الأنغام المتباينة وتطورها في مراحل نفسية وعقلية تتطلب لونا من الشعر خاصا . فشعر الملاحم ، أو الشعر القصصي يتدفق في الفجر التاريخي الأدبي لأمة من الأمم ويرافق الطفولة الأدبية ، ويدور حول البطولة الخارقة للأمة متكئا على الأساطير التي تمجد الشجاعة والفروسية الخارقة . فالملاحمة بعبارة وجيزة تقوم على أحداث مذهلة تهول الوقائع ، وتنداح فيها الأساطير التي يعيش عليها الشعب ، وتهدهده بنغماتها . وهكذا تنتفض فيها صورة ماجدة للشعب الذي تحكي الملحمة حياته ، فتضخم الحوادث ، ويريق الخيال البعيد أموجا من الخوارق التي تقوم عليها الملحمة .

وتألف الملحمة عادة من آلاف الأبيات ، تنفض ضمير الشعب ، وتمثل روحه ومثله ، فهي أسطورة حياته ، ويقوم بنظمها أكثر من شاعر ، فهي تتألف من الأغاني البارة المنبثقة من عدة قرائح نابقة ، ثم يأتي شاعر عميق الشمول ، ذو خيال خصب ، فينشد الأنشودة الكبرى ، فتنسب الملحمة اليه ، وقد خضلها قلب الشعب ، وأفاء عليها من عقبرته المتوقدة ، وضمخها بعقول الأجداد ، وسنى عقبهم الفواح .

ولم تعرف الأمة العربية ملحمة تسجل حياتها ، وروعة بطولتها ، بينما عرفت الأمم السامية الأخرى ملاحم رائعة لا تزال حتى الآن ماثرا اعجاب عارفها بما حوته من شاعرية مجنحة ، وخيال متدفق ، وأساطير مذهلة . وبطولات متحدية ، وفهم للطبيعة البشرية . فالبابليون عرفوا أقدم ملحمة في العالم ، هي « جلجاميش » التي ترقى في تصوير أحداثها الى القرن الثامن عشر ق.م . كما عرف الفينيقيون في « أوغريت » ملاحم رائعة تعرف باسم « ملاحم رأس شمرا » التي هزت العالم بما حوته من حكمة وروعة وسمو في كثير من مناحيها .

أليس من المعقول اذا أن يكون الشعراء العرب هم الذين أنشأوا الملحمة العربية في طفولة أمتهم ،

كتب فولتير « ذات مرة يقول : « ان الشعب الفرنسي بعيد عن الملاحم ، فلم ينتج ، ولن ينتج ملحمة » . لقد قال هذا بعد أن نظم ملحمة المشهورة « الهرياد » التي تحدث فيها عن الملك « هنري الثامن » ، وحروبه ، وبطولاته . وسقطت هذه الملحمة سقوطا ذريعا ، كما أخفق من قبله الشاعر « رونسار » في ملحمة « الفرنسياد » التي سكب فيها فصول قصة الملك « فرانسوا الأول » وحروبه ، وبطولاته . فكلما الشاعرين الكبيرين عانى مرارة الخيبة مما دعا « فولتير » الى سلب الشعب الفرنسي روح الملحمة . غير أن فولتير ما كان ليُدري أن الشعب الفرنسي استطاع أن يسجل ملحمة الرائعة « أنشودة رولان » التي مثلت حروب شارلمان مع العرب في الأندلس ، وخفقت فيها البطولات كما تصورها أولئك الشعراء الذين أخرجوها ، ونفضوا فيها صورة خلاصة لما يحتدم في نفوسهم من تمجيد لشعبهم وبطولته . ومع أن هذه الملحمة نظمت في القرون الوسطى ، إلا أن الفرنسيين لم يعرفوها الا في القرن التاسع عشر اذ كانت راقدة في أحد الأديرة هناك ، ولا ظهرت للوجود ، وقرأها الناس وجدوا فيها صورة فرنسا الجميلة كما قالوا ، لأنها مثلت مآثرهم وجلال أعمالهم ، ووجدوا فيها الصورة النفسية والروحية لأمتهم .

ومن الطبيعي أن ينتج الشعراء الفرنسيون الى نظم الملحمة ، فقد اطلعا على ملحمتي « الألياذة » و « الأوديسة » لهوميروس وشاقتهما هذه الروعة التي تسيل فيهما ، فأرادا أن ينهجا على غرارهما . بيد أن عصرهما لا يتسق مع روح الملحمة ، فخابا في مهمتهما لا لوهن في شاعريتهما بل لأن طبيعة الملاحم لا تتفجر الا في طفولة الشعب عندما تكون العواطف غضة والنفوس متفتحة بسداحة لالتقاط البطولات الخارقة ، والأساطير البعيدة . وملحمتا « هوميروس » عندما عرفتهما أوروبا ، أثارتا الكثير من الحماسة لنظم ملاحم تحاكيهما ، « فجون كيتس » عندما اطلع على ترجمة انجليزية لهايتين الملحمتين عبر عن اعجابه الشديد بهما باحدى قصائده الحية التي أزعج فيها تحيته لصاحبهما . وهكذا نجد أن شعر الملاحم يسبق كل ألوان الشعر الى الوجود ،

• العرب في الجاهلية لم يميلوا الى القصص وسردها ، وتلوين أخبارها . فشرعهم كان يصور نبضات أفئدتهم ، وعواطفهم الذاتية ، يقنونها باندفاع وصدق يمثلون فيها حياتهم ، ويجلون فيها مثلهم العليا التي أملت على الصحرى ، والتي تتمثل في كلمة « المروءة » وما ينحدر منها من صفات الكرم والشجاعة ، واغاثة الملهوف ، وحفظ الجوار ، وغيرها من الحصائص الريقة التي كانت ضرورة دفاعة للحياة في الصحراء .

• الخيال الصحراوي محدود ضيق الأفق لا يترامى الى تجسيم الأمور ، فهو لصيق في البادية الضئيلة المناظر ذات الألوان الواحدة ، والروى الرتيبة المتكررة التي لا تتلاحق مناظرها في تجديد ، ولا تتابع على الخيال في لوحات غنية متنوعة ، فتلونه ، وتدفعه الى ابتكار الصور الفنية التي تغني الملحمة . فنشبهات الشعر الجاهلي مادية محسوسة مما يدل على أن الخيال البدوي كان محدودا مفرغا في قوالب محدودة . فهو لا يستطيع الظفرة الى عوالم بعيدة وراء المنظور ليتكرر قصصا يسرح فيها الخيال الى أبعد مدى . وهذه القصص التي يتكررها الخيال هي مادة الملحمة ، وحياتها ، وأعصابها والدم الذي يتدفق في شرايينها ، فيمنحها الحياة والقوة والتجميد .

• تعتمد الملاحم على الحروب ، فهي مادتها الأصلية ، وحول هذه الحروب تنسج البطولات والخوارق ، وينشأ الأبطال الكماة الذين يلودون عن الأمة ، ويوثلون مجدها التليد ، وعزتها الشامخة ، ويريق الخيال الفسيح على هؤلاء الأبطال المساعير صفات مثل لا تلتصق بالبشر ، فيصبجون أسطورة تتهاذى في بطولة شاذخة بل يظفرون عن مستوى البشر ، ليتاح لشعراء الملاحم غناء ملاحمهم الفتاكة ، وحصانهم النبيلة ، وجهم الوامق ، ومعاركهم التي كسبوا بها سيوفهم ، وقهرهم الأعداء ، والفوز بالنصر الذي تزهو به الأمة . وأيام العرب في جاهليتهم وغزواتهم محدودة ، فهي لا تتجاوز معركة تتصاول فيها قبيلتان يوما واحدا يقتل فيها بعض الأفراد . وحرب البسوس التي دامت أربعين عاما كما تقول الرواة لم تتعد أربعين يوما التقت فيها القبيلتان المختلفتان في أزمنة مختلفة ، وعدد القتلى فيها ضئيل بئيل . فليس من المعقول أن تكون هذه الأيام القلائل مادة غزيرة لشعر ملحمي يتفنن فيه الشعراء ، بل كان حسبها هذه القصائد الغنائية التي كان يشدو بها شعراؤهم يزهون ويفخرون في حماسة دافقة ببطولاتهم وانتصاراتهم .

• دين العرب في الجاهلية وثني ضيق الرحاب كان يقوم على الأصنام ، فكان لكل قبيلة صنم أو حجر تعبد ، ويصنعونه أحيانا من التمر ، وعندما يجوعون يأكلونه . فلم تكن لهذه الأصنام تلك المكانة القدسية التي تفيض بالقلوب هذه الينابيع الزاخرة من العقيدة التي تنسج حولها القصص الشيقة ، والأساطير الرائعة ، فالعرب في الجاهلية لم يروا لكل ظاهرة من ظواهر الوجود الها خاصا ينسجون حوله الأساطير كما فعل البابليون والفنيقيون الذين استطاعوا أن يجدوا آلهة متعددة لمختلف ألوان الطبيعة ابتدعوا حولها الأساطير المليئة بالحياة ، أو كما فعل اليونان الذين برعوا في ابداع آلهة متعددة خلعوا على كل منها الظواهر البشرية المثيرة للخيال ، الحافزة على الابتكار . والملحمة لا تستطيع الاستغناء عن هذه الآلهة لأنها مادة أساسية فيها ، فهي التي تضيء عليها الخوارق التي تمنح الملحمة الحياة والقوة ، بتدخلها في أعمال البشر ، وصراعها مع بعضها البعض ، ومع الناس . والحماقات الكثيرة التي ترتكبها يجد فيها الشعراء مادة غزيرة لا تنضب لشعرهم الملحمي .

• من المعروف أن الملحمة تتكون من آلاف الأبيات ، والقصيدة العربية التي ارتضت القافية والروي لا تقدر أن تكون لها آلاف الأبيات ، فالأذن العربية لذت لها هذه القافية الرائدة ، تفرع سمعها ، فتلذذها بنغمتها الواحدة . وما لا شك فيه أن هذه النغمة الرتيبة في القصيدة راجعة الى البيئة التي نجمت فيها وظهرت . وهي الصحراء ذات المنظر الرتيب الذي لا يتكرر .

• الشعر العربي في الجاهلية لا يميل الى السرد والأخبار والقصص ، وإنما هو وجداني ذو نزعة غنائية تأت من طبيعة العربي ، وطبيعة البادية المجلوة السماء التي تتهاذى فيها النجوم المتألقة .

لهذه الأسباب مجتمعة لم ينظم شعراء الجاهلية الملحمة التي تمثل حياتهم ، وأشواقهم ، وبطولاتهم . أما كيف قبلنا الاقتراض الذي افترضناه في مطلع هذا المقال بأنه من المحتمل أن يكون العرب قد عرفوا الملحمات ، ونظموها قبل العصر الجاهلي .. فهل تغيرت البيئة العربية .. حتى تتيح للشعراء ابتكار الملاحم وانشاءها ؟ الواقع أن الجزيرة العربية كانت في تاريخها السحيق تفيض بالأنهار والخصب والاخضرار ، مما يتيح فسحة في الخيال البعيد ، وحياسة الأساطير التي تنسج مع هذه الألوان . ودليلنا على هذا أن البابليين والفنيقيين الذين نرحوا من الجزيرة العربية

ابتكروا الملاحم لأنها كانت حية في نفوسهم ، فوجدوا الأرض الخصبة ، بمناظرها الخلابة ، ومشاهدها الجميلة ، فجنح خيالهم الى ابتكار الأساطير التي هي ركيزة الملاحم وصلب مادتها .. فهم قد حملوا معهم الى البلاد التي هاجروا اليها أصول هذا الفن الشعري وقواعده حتى اذا ما استقر بهم المقام في وطنهم الجديد غنوا ملاحمهم . فما يمنع العرب الذين ظلوا في جزيرتهم الكثيرة الخصب والمياه أن يحلقوا في دنيا الملاحم ؟ وتعرضت الجزيرة لجفاف في مختلف عصورها حتى اذا ما عرفنا العرب في جاهليتهم كانت الصحراء طغت على قسم كبير من الجزيرة ، وحددت معالم حياة سكانها وفق هذه البيئة الجديدة التي أنتجت هذا الشعر الغنائي الذي يواظم طبيعتها . وبعد أن تطور العرب في مراحلهم الفنية الى الشعر الغنائي الذي يعبر عن عواطفهم وذاتيتهم ويصور مشاعرهم وأحاسيسهم فمن الطبيعي ألا يحلوا أو يجنحوا الى نظم الملاحم .

وصف

عصرنا حاول بعض الشعراء سد هذه الثغمة الموجودة في أدبنا ، فجنحوا الى نظم ما أسموه ملاحم كما فعل الشاعر أحمد محرم صاحب الألباذا الإسلامية . ومن الطبيعي أن يخفقوا في الهدف الذي توخوه لأنه يستحيل نظم الملاحم الا في طفولة الأمة . فالشاعر الانجليزي الكبير « ملتون » نظم ملحمة المشهورة « الفردوس المفقود » في فجر الأدب الانكليزي ، ومع هذا فان الناقد « ماكولي » عندما درس هذه الملحمة ، رأى لو أن الزمن تقدم بملتون لكان شعره الملحمي أرقى وأوفر فنية وجمالا ، ولست فيه روح الملحمة زاخرة بالحياة .

ان ما نظمته شعراؤنا المحدثون لا يعدو أن يكون لونا من الشعر القصصي الذي تعوزه عناصر القصة الصحيحة . فليس له من القصة سوى السرد والحكاية . وهو بجملته يعتبر لونا من ألوان الشعر الغنائي . فأحمد محرم ، لم يدرك معنى الملحمة ولا روافدها الفنية ، وعناصرها التي تقوم عليها وتمنحها الحياة .. فقد اقتصر على نظم الحقائق التاريخية الإسلامية ، وهذا لا شك عمل رائع وجليل ، بيد أنه بعيد عن روح الملحمة وجوهرها الأصيل .

وعدم وجود الملحمة في ادبنا لا ينقص من قيمته ومكانته المرموقة ، فهو أدب حي عبر عن وجدان الأمة العربية في عصورها الزاهية ، ونفص أمامنا صورا مقعمة بالحياة لذاتيتنا ، وروحنا وآمالنا وآلامنا ■

مع الظرفاء

وتسعدنا الذاكرة بإيراد بعض المفاكهات التي أثرت عن بعض هؤلاء الظرفاء ، فمن ذلك أن الشاعر ابراهيم ناجي أراد أن يهجو طفلياً من جلسائه ، فخاطبه بقوله .

يا عبقرى في شناعته

ولذلك أمك وهي معذرة !
وذات مرة ذهب الدكتور ناجي مع مريض مكفوف البصر الى زميل له من أطباء العيون ليوصيه خيراً بالمريض عند اجراء جراحة له في عينيه . وخاف المريض من الجراحة وتردد في اجرائها ، فقال له الطبيب الجراح : اطمئن ، ألا تتق بي ؟ . فقال ناجي : ثقته فيك عمياء !

(تقبح) أن دعي الدكتور ناجي الى حفل قران ، وجلس بين المدعوين الى أن ظهر العريس ، وكان بادي القبح رغم محاولات التأنق اليادية عليه . فقال على ناجي جار له هامسا في أذنه « العريس بعيد عن الوسامة » . فبادره ناجي بقوله : طبعاً يا أخي ، أليس هذا قرانا ميمونا ؟ ومعروف أن « ميمون » من الأسماء التي جرى الناس على إطلاقها على « القروء » وقصائلها .

وكان الدكتور ناجي يحرر مجلة طيبة عنوانها « حكيم البيت » ، وكان شعارها المطبوع على صدرها « الى الأمام » ، ثم تعثرت المجلة واضطرت الى اغلاق أبوابها لكساد سوقها . واتفق أن التقى بالدكتور ناجي صديق له ، فسأله عن حال المجلة . فقال له ناجي : جعلنا شعارها « الى الأمام » ، اشارة الى قرفة الأمام . « والقرفة » هي المكان الذي يدفن فيه الموتى .

أما الشاعر الفلسطيني ابراهيم الدباغ ، الذي مات ميتة شريفا رهين المحابس على حد

أشخاص تميزوا بموهبة خاصة ، غلبت عليهم فسي جميع أطوار حياتهم ، حتى باتوا ندماء ومسامرين وأهل فكاهة ، يلقون النكتة عن بديهة حاضرة ، ويذهبون في مزحهم الى حد السخرية من أنفسهم ، والتهكم على جلسائهم ، مهما تكن منازلهم في الحياة الاجتماعية .. لا رغبة في النيل منهم ، بل رغبة في رسم البسمة على الشفاه ، وإثارة القهقهة تنطلق من أعماق الحناجر .

ولكل ظريف من الظرفاء لون خاص و « طعم » خاص ، فمنهم من تهديهم السليقة الى المزح بالشعر ، كالشاعر ابراهيم ناجي ، والشاعر محمد مصطفى حمام ، والشاعر الزجال حسين شفيق المصري ، ومنهم من يختار لفكاهاته اللهجات العامية الدارجة ، ومنهم من يؤثر اللغة الرصينة في مزحه ودعاباته . وكلهم يقول النكتة عن غيره من الناس ، ويقبلها متى قبلت فيه ، فالحياة في عرفهم أهون من أن تقضى في المشاحنات والمباغضات ، وما إليها .

وأغلب الظرفاء المعروفين ماتوا ودفنت معهم فكاهاتهم ، والذي بقي منها مرويا على الألسنة قليل بالنسبة لما جادت به قرائحهم ارتجالا ، وفي مناسبات غير مهيأة . وانك لو جلست الى ابراهيم ناجي مثلاً ، لسمعته يرتجل مئات من الفكاهات اللواذع في ساعة أو بعض ساعة ، ولو حاولت تسجيلها لأعيتك الجهود . ومثله في هذا الميدان الشاعر حمام ، والشاعر عبد الحميد الديب ، وعبد العزيز البشري ، وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، وامام العيد ، وابراهيم الدباغ ، ووليم باسيلي ، ومحمد علي غريب ، والبابلي ، وغيرهم .

بقلم الاستاذ فهدى بدوي

تعبيره ، فكان على بؤسه ظريفا من ظرفاء القوم ، وكان مجلسه من أمتع المجالس التي تقال فيها النكتة وترتجل الفكاهة .

وكان الدباغ مريضا فوق هذا بمعدته ، فلم يكن اسما على مسمى ، وأطرف فكاهاته ما دار حول الطعام ، فقد قابله صديق له ، وسأله :

— كيف حالك ؟ فأجاب « جوعان » !

— ومتى عدت من السفر ؟

— « في اليوم الذي انتقل فيه الحاتي الكبابجي من مكانه القديم الى مكانه الجديد » .

— وما أحسن الأمثال الشعبية عندك ؟

— كلام الليل مدهون بزبدة ، يطلع عليه النهار يسبح .

— وما أقيح الأمثال في رأيك ؟

— ان كان حبيبك غسل ، لا تلحسه كله

— وما أخف الأمراض وطأة ؟

— البول السكري .

— وألذ الأمثال العربية ؟

— أصاب كبد الحقيقة . وعرف من أين تؤكل

الكثف . ورضع لبان العلوم ، وأقبال الجياع على القصاص .

المرحون حافظ ابراهيم وشوقي ، الشعاران الكيран ، فبينهما مساجلات من لواذع الفكاهات لا تكاد تحصى ، وهي في واقعها تعكس ما كان بين الشاعرين من زمالة ، وما كان بينهما كذلك من تنافس على مجد الشعر .

وافترقا ان كان الشعاران يسيران معا متجهين الى بيت صديق لزيارته ، فأراد حافظ أن يمازح شوقي ، فأنشد أمامه :

يقولون ان الشوق نار ولطفه

فما بال شوقي أصبح اليوم باردا ؟

وتنبه شوقي الى الغمرة المقصودة ، ولكنه كتم رغبة الانتقام في صدره الى الوقت المناسب . حتى اذا بلغا بيت صديقهما وجلسا في غرفة الانتظار ، لمح شوقي طفلا صغيرا يمرح ويلعب في المنزل وهو متعل حذاء جديدا . فناداه وربت على كتفه ، وسأله عن اسمه ، ثم قال له بصوت مسموع : يا ابني ، لماذا تجري في المنزل هكذا ؟ حافظ على حذائك . وبلغ حافظ النكتة ، وعرف أن انتقام شوقي كان لاذعا .

وحدث مرة أن الدكتور محمد حسين هيكمل باشا نشر في جريدة « السياسة » مقالا بعنوان « شوقي وحافظ » تناول فيه الكاتب هذين الشاعرين بالمقارنة والمفاضلة . فلما اطلع شوقي

على هذا المقال عاتب هيكلا لأنه قرن اسمه باسم شاعر ليس من طبقته ، ولا من مستواه . ودري حافظ بهذا العتاب ، فابتسم قائلا : « لماذا يغضب شوقي ؟ والناس قد اعتادت أن تقول « حافظ وشوقي » تماما كما تقول « زقي وميت غمر » و « دنيا وآخرة » .

وروي عن حافظ أنه كان يتلو قصيدته في حفل رثاء الشاعر الراحل اسماعيل صبري باشا ، وافترقا أن كان بجوار مرادق الحفل حمار ظل ينهق بصوت مرتفع حتى غطى على صوت الشاعر . وكان حافظ يبالغ في رفع صوته ، ولكن نهيق الحمار كان أعلى . فاضطر آخر الأمر الى السكوت ، وهو متململ لا يدري ماذا يصنع في هذا الموقف الحزين ، والحمار مستمر في نغمته النشاز . وطال صمت الشاعر ، فتأشده أحد الحاضرين أن يواصل لإلقاء قصيدته ، فجأوبه حافظ قائلا : لما ينتهي حضرة الزميل .

وكان لحافظ صديق ثقيل الظل ، وكان موظفا في إحدى الجهات ، فكان عمله يمنعه من مطاردة حافظ في النهار ، أما في الليالي وما بعد الظهر ، فكان الصديق يحل حيثما حل حافظ . وأحبل هذا الرجل الى التقاعد ، فصار يلزم حافظا في كل مكان ، ولا يتركه ساعة من ليل أو نهار . فلما ضاق حافظ به ذرعا قال له : بالله قل لي ، هل أحاولك الى التقاعد أو أحاولك إلي ؟

وكان عبد الحميد الديب شاعرا باثنا معدما . وقابل في الطريق صديقا له فسأله عن حاله ، فقال عبد الحميد : حي ولكن لا أرزق . واقترح الصديق أن يصعدا معا الى غرفة عبد الحميد على سطح إحدى العمارات القديمة ، فقال له الديب واصفا حال الغرفة : أنا فيها كل الأثاث .

أما عبد العزيز البشري فهو بين الظرفاء سيدهم ، لأن مظهره كان يوحي بالجد والصرامة ، فاذا فتح فاه تدفقت منه النكات تصيب الناس جميعا . وحدث أن ذهب الى حديقة الحيوان بصحبة صديقه حافظ ابراهيم . وبعد جولة بين الأنفاص اتجها الى باب الخروج . فداعب صديقه قائلا : حاسب يا أستاذ لثلا يحجزوك هنا . فردّ عليه البشري قائلا : أما أنت ، فلا خوف عليك ، لأن صفك متوافر في الحديقة !

وكان البشري واقفا مع خمسة من أصدقائه في انتظار ترام الرمل في الاسكندرية ، فتقدم منه رجل سائلا عن الوقت . فأجابه ، ولكن الرجل بدلا من أن ينصرف ، تحول الى الرجال الخمسة

وسأل كلا منهم على انفراد عن الساعة ، فأجابه . ولما تركهم وانصرف سأل واحد من الأصدقاء الشيخ البشري : ومن يكون هذا الرجل ، فقال البشري : « من أدراني ، لعله مفتش ساعات » . وكان الشيخ البشري يحاول اجتياز شارع عريض ، تمر فيه أرتال السيارات متقاطرة متلاحقة . وكلما همّ بالعبور ، تراجع خشية أن تصدمه احداها . ومضى عليه وقت طويل وهو في هذه الحال ، يهمّ ويتراجع ، الى أن وقف بجواره رجل من رجال الاسعاف الذي ابتدره قائلا : ولماذا لا تعبر الطريق الآن ؟ فأجابه : حتى لا أتعبكم .

ويروى أن طبيبا وصف للشيخ البشري دواء لعلاج السكري الذي كان يعاني منه ، ولكن الدواء لم يجدد نفعا . فلما صادفه الطبيب بعد أيام سأله عن حاله ، وهل أجدى معه الدواء ، فأجابه الشيخ البشري :

نفعتني تماما . أخذت منه ثلاث ملاعق ، فضاع مني السعال ودهنت به ساقي ، فزال منها الروماتزم . والباقي جلدنا به الأوعية النحاس في المطبخ

وحدث مرة أن خرج الشيخ البشري من منزله ، وكان الجو شتاء قاسيا ، فالتحف بعباءة ثقيلة وغطى رأسه بوشاح كثيف اتقاء للبرد . فرآه أحد الثقلاء ، وقال له :

« ماذا صنعت بنفسك ؟ لقد رأيتك مقبلا فحسبتك امرأة » . فردّ عليه البشري قائلا لا بأس ، فالجو بارد عاصف . أما أنا ، فعندما رأيتك مقبلا من بعيد ، حسبتك رجلا . ودعي محمد مصطفى حمام الى مأدبة غداء ، وقال له الداعي الا تلهيك هذه المآكل شعرا ؟ فارتجل حمام :

قد أكلنا الحمام لحما وعظما
وهدمنا جبال كشك صعيدي

وافترسا الخروف ، فهو شهيد
لهف قلبي على الخروف الشهيد
وحديث الظرفاء مقتضب مهما طال ، لأن كثيرا من الفكاهات التي تلقى في مجالسهم هي من النوع الذي يقال ، ولا يلدن ، ويروى ولا يسجل . وقد كانت للفكاهة في زمن غابر مجلات متخصصة ، تستعين على اضحاك القارئ بما تنشره من رسوم وأشعار ومطارحات ومساجلات فكاهية ، ولكن هذه المجلات اندثرت ، ولم يبق منها الا أركان للفكاهة هنا وهناك

مَرَا حِلْ تَكْرِير السَّزِيتِ الخَطْم



معمل التركيز من مرافق معمل التكرير المهمة
حيث تجري معالجة النفط وإزالة غاز كبريتيد
الايديروجين السام منها .

منظر جوي عام لمرافق معمل التكرير في رأس تنورة .

مَا هُوَ التَّكْرِيرُ؟

التكرير يُمِدُّه العام هو عملية تقطير ، أي تحويل المادة من سائل إلى بخار ، ثم تبريدها وإعادة تحويلها إلى سائل ، وهو يستخدم مبدأ التفاوت في درجات الغليان والضغط ، كما يستخدم الوسيط الكيميائي . وبما أن الزيت الخام يتكون من مواد مختلفة الوزن والتركيب ، لذلك فإنها تتبخر على درجات حرارة مختلفة ، وتتكثف على درجات حرارة متفاوتة أيضا . وإذا ما استغل هذا التفاوت في درجات الغليان والتبخر ، أمكن فصل هذه المواد عن بعضها البعض والحصول على المنتجات والمشتقات المطلوبة .

نَقْطِيرُ الزَّيْتِ الْخَامِ

يتعرض الزيت الخام لعدة عمليات معقدة من المعالجة قبل أن يصبح منتجات جاهزة صالحة للاستخدام . فأول هذه العمليات هي فرز الغاز من الزيت في معامل الفرز القريبة من حقول الإنتاج ، ثم تركيز الزيت الخام بتخليصه من ثاني كبريتيد الايديروجين ، وبعد ذلك اجراء المرحلة الأولى من مراحل عملية التكرير وهي « تقطير الزيت الخام » .

وللإلمام بهذه المرحلة وغيرها من مراحل التكرير ، دعنا نقوم بزيارة لمنشآت التكرير في رأس تنورة ، والاطلاع على مختلف العمليات هناك .





منظر جانبي لبعض مرافق معمل التكرير في رأس تنورة .



عشرات العينات من منتجات الزيت تخضع لسلسلة من الفحوص والتحليل المخبرية يوميا للتأكد من مطابقتها للمواصفات المطلوبة .

يوجد في معمل التكرير في رأس تنورة نوعان من مرافق معالجة الزيت الخام ، أحدهما لتقطير الزيت الخام ، وهو يضم وحدتين طاقة كل منهما حوالي ٩٦٠٠٠ برميل في اليوم . والآخر لقطف الزيت الخام ، وهو يضم وحدتين تستطيعان معالجة حوالي ٢٠٠٠٠٠ برميل يوميا . وعملهما مشابه لعمل وحدتي التقطير السالفتي الذكر الا أن منتجاتهما أقل تنوعا .

وحدة تقطير الزيت الخام

تشابه وحدتا التقطير تشابها كليا بحيث ان الوصف الذي يقال عن احدهما ينطبق على الأخرى . فكل وحدة من هاتين الوحدتين تتكون من عمود تقطير جوي ، وعمود تقطير فراغي ، وعمود إعادة التقطير . فعمود التقطير الجوي يستقبل الزيت الخام ويفصله الى منتجات أولية هي النفط الخالص ، ومقطرات الكيروسين ، وزيت غاز الديزل ، والزيت الخام المختزل . وعمود التقطير الفراغي يفصل الزيت الخام المختزل الى مقطرات شمعية خفيفة ، ومقطرات شمعية ثقيلة ، ومتخلفات التقطير الفراغي . أما عمود إعادة التقطير فيتناول النفط الخالص ، ويفصلها الى نفثا بسيطة خفيفة غير مركزة ، ونفثا بسيطة متوسطة ، ونفثا بسيطة ثقيلة .

وتنتج احدى هاتين الوحدتين أيضا النفطنا
الخالصة ، بينما تستطيع الأخرى أن تنتج
الكبروسين والديزل . وتشمل احدهما (وقد بنيت
حديثا) عمودا للتقطير ومرافق لتركيز النفط .

تهذيب المنتجات وتحسينها

بعد تجزئة الزيت الخام الى المركبات السائلة
الذكر ، تبرد بواسطة مبدلات للحرارة ووحدات
تبريد ، ثم تضخ الى ساحة الخزانات ، حيث
يجري مزج معظمها ومعالجته وتسويقه على ما هو
عليه ، بينما يتعرض القسم الباقي منها لمزيد
من مراحل المعالجة والتهذيب ليصبح صالحا
للاستخدام . ففي وحدتي التهذيب الحراري ،
تعالج النفط الثقيلة لزيادة نسبة الأوكتان فيها ،
وهما تعالجان حوالي ١٣٠٠٠ برميل في اليوم .
وفي وحدة التهذيب الايدروجيني تعالج النفط أيضا
لإعادة تكوينها بغية زيادة نسبة الأوكتان فيها ،
ولكنها تختلف عن الوحدتين السابقتين بأنها
تستخدم في معالجتها للنفثا الوسيط الكيماوي .
وفي «وحدة رابع أثيل الرصاص والتلوين»

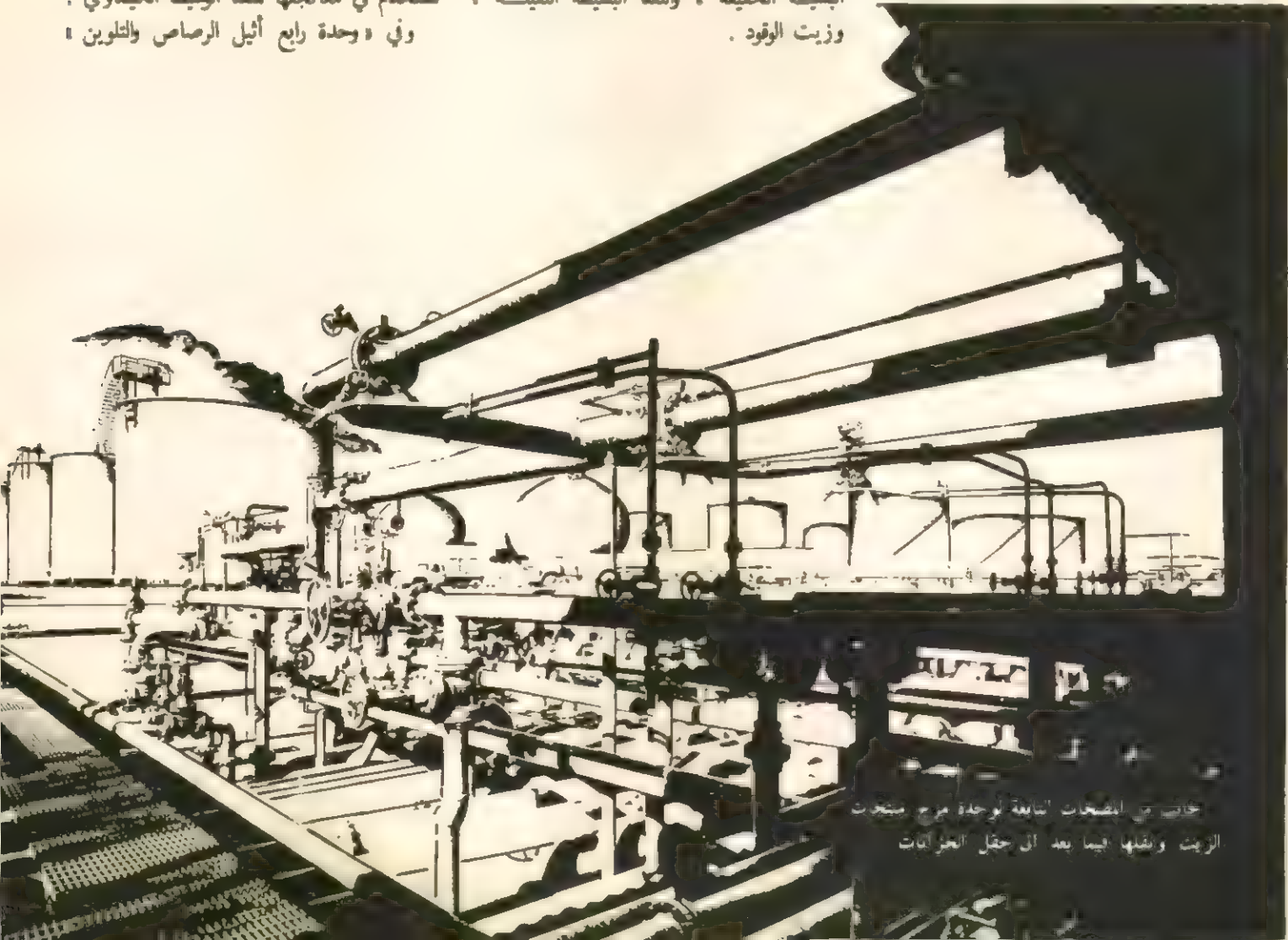
ثم يضخ الزيت الثقيل من أسفل عمود التقطير
الجوي الى فرن فراغي ، حيث يسخن ثانية الى
حوالي ٣١٥ درجة مئوية ، ثم يضخ الى عمود
التقطير الفراغي ، حيث تفصل منه مقطرات الشمع
الخفيف ، ومقطرات الشمع الثقيل ، والرواسب .
أما النفط الخالصة فتضخ من أعلى عمود
التقطير الجوي الى عمود إعادة التقطير ، حيث
يجري تحويلها الى نفثا بسيطة خفيفة تخرج من
أعلى العمود ونفثا متوسطة بسيطة تخرج من وسط
العمود ونفثا بسيطة ثقيلة تخرج من أسفل .
من هذه النفثا يتعرض لمزيد من مراحل التهذيب
ليصنع منه بزين السيارات العادي والممتاز ،
وغيرهما . أما الأقسام الأخرى من النفط فتمزج
بنسب مختلفة ، وتباع حسب المواصفات المطلوبة .

وحدات تقطير الزيت الخام

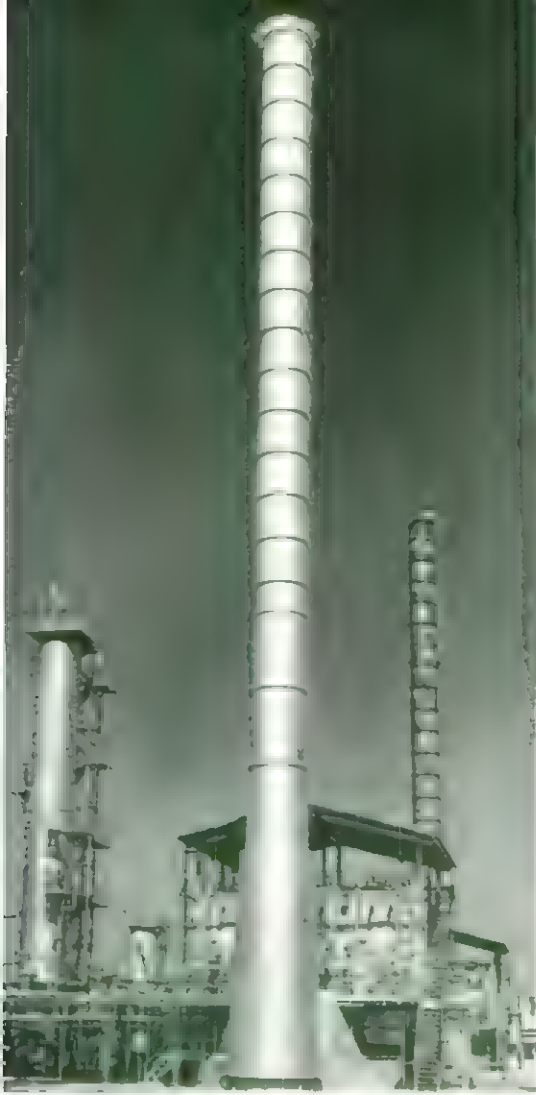
هاتان الوحدتان تعالجان حوالي ٢٠٠٠٠٠
برميل من الزيت الخام يوميا لتنتجا منها النفط
البسيطة الخفيفة ، والنفثا البسيطة الثقيلة ،
وزيت الوقود .

وقبل أن يدخل الزيت الخام احدى وحدتي
التقطير يمر عبر فرن يرفع حرارته الى حوالي
٣١٥ درجة مئوية ، فتتحول بذلك حوالي نصف
كيبته الى بخار ، ثم يدخل في عمود التقطير
الجوي ، الذي يحتوي على ٢٩ صينية ، يدخل
ما بين الصينية الخامسة والسادسة . وهناك يرتفع
البخار الى أعلى عبر الصواني العليا من عمود
التقطير ، بينما ينخفض السائل الى أدنى عبر
الصواني الدنيا .

وخلال عملية التقطير يمرر تحت الصواني
تيار من البخار للابقاء على الحرارة المرتفعة ،
وجعل أكبر كمية ممكنة من الغازات تنطلق الى
أعلى . وأثناء مرور المواد المتبخرة عبر طبقات
الصواني تبرد تدريجيا ، فتتكثف كل مادة على
درجة حرارة معينة ، فعندما تبلغ الحرارة حوالي
٢٠٥ درجات مئوية يتكثف زيت غاز الديزل ،
بينما يتكثف الكبروسين على حرارة مقدارها ١٥٠
درجة مئوية ، والنفثا الخالصة على حرارة دون
٩٣ درجة مئوية



خارج من المضخات التابعة لوحدة مزج منتجات
الزيت ونفثها فيما بعد الى حقل الخزانات



معمل التهذيب الحراري حيث يجري تحسين
مواصفات البنزين وزيادة نسبة الأوكتان فيه .

جانب من أجزاء وحدة قطف الزيت الخام .

بعض منشآت معمل معالجة البنزين والكبروسين الديزل بكبريتيد الرصاص .



باستمرار الى الخزانات التي لا تفتأ تفرغ وتعبأ ،
وعمال الصيانة لا تغمض لهم عين عن مراقبة
منشآت هذا العمل والمحافظة على سير دولاب
العمل فيه بصورة منتظمة . وبالإضافة الى ذلك
تعرض هذه المنشآت الواحدة تلو الأخرى لفحص
دوري للكشف على أجزائها الداخلية والخارجية ،
واصلاح المعتلة منها .

كل هذه الجهود تضافرت وتعاونت لجعل
معمل التكرير في رأس تنورة يتمكن من معالجة
١٢٦٨٢٩٦٠١ برميل من الزيت الخام خلال
عام ١٩٦٧ ، نتج عنها حوالي ١٢١٢٥٢٧٧٢
برميلا من ثمانية أنواع مختلفة من منتجات البترول .
منها ما بلغ عدد الأصناف المنتجة منه خمسة .
وقد بلغت نسبة المعد للتصدير من هذه
المنتجات ٩٢ في المائة ■

ع.ع.

وتشكل هذه الألكلات الخفيفة أكبر العناصر
المستخدمة في عمليات مزج بترين الطائرات .
وفي «وحدة الاسفلت» ، يستخلص من رواسب
عمود التقطير الفراغي أنواع عديدة من الاسفلت
الذي يستخدم في تعبيد الطرق وتغطية سطوح المنازل
وتغليف أنابيب الزيت وغير ذلك . وتنتج هذه
الوحدة حوالي ٣٠٠٠ برميل في اليوم .
وفي «وحدة ازالة سلفات الرصاص» توجد
خمسة أجهزة لتحلية النفط وازالة الروائح الكريهة
منها ، وذلك بتحويل المواد الكريهة الرائحة الى
مركبات عديمة الرائحة بالتفاعل الكيماوي .

عَمَل دَائِب

الآلات دائمة الضجيج ، والمشغلون في عمل
دائب ليل نهار دون توقف ، والزيت يتدفق

تضاف الى البترين الناتج بعد مزج مركباته
مادة رابع أثيل الرصاص ، وذلك لرفع
درجة الأوكتان فيه ، ثم يجري بعدئذ تلويته
للدلالة على اضافة هذه المادة السامة اليه .
ويتم في «وحدة نزع المواد الكبريتية» تخليص
زيت الديزل والكبروسين من الكبريت ، وذلك
لجعل زيت الديزل أكثر صلاحية للاستعمال ،
وتخليصه من هذه المادة التي تسبب تآكلا في
المحركات التي تستعمله .

وفي «وحدة الألكلة» يجري استقبال البوتان ،
والآيسوبوتان ، والبروبان ، والبوتيلين . فالبوتان
والبروبان يضخان الى معمل غاز البترول السائل
لإنتاج هذا الغاز الذي يستعمل وقودا في المنازل .
بينما يحول الآيسوبوتان والبوتيلين الى مفاعل ،
حيث يتم انتاج الألكلات الخفيفة والثقيلة
باستخدام حامض الكبريتيك كوسيط كيماوي .

تختلف أشكال الخزانات وسجودها في رأس تنورة تبعاً للمنتجات المخزنة فيها .



بماذا نصح الناشئة ..

والذرية ، حتى أصبحت العصور التي يعيش فيها الانسان تسمى باسم هذه المخترعات ، كعصر البخار ، أو الكهرباء ، أو الذرة ، أو الفضاء .

أما أن ناشئة اليوم في غنى عن نصائح الكهول ، فهذا صلف وغرور ، وهما صفتان من جملة طباع الناشئة في العصر الحاضر . فالصلف أن يركب الشاب رأسه لا ينعم النظر ولا يقلب الفكر ، ويسير فسي طريق على هواه لا يشنيه عن عزمه شيء ، معتقدا أنه قطعاً على صواب . وأما الغرور فانه اعجاب الشاب بنفسه ، واعتقاده أنه بلغ الكمال من الأحوال الثقافية والسلوكية والاجتماعية ، وأنه فسي نظر نفسه دون ريب على صواب . والصلف والغرور آفتان ، اذا تمكتنا من صاحبهما تؤديان به الى التهلكة . ولتعلم الناشئة أن الشيوخ أصحاب خبرة وتجارب ، قد عرّكهم الحياة ، وهم الذين سايروا عصر الذرة والفضاء ، وهم أصحاب الانقلاب المعاصر في العالم ، فعلوا ذلك عن وعي وتقدير وتقدير . وجدير بهم ارشاد الناشئة للحفاظ على الحضارة الحديثة من الانهيار .

ان العالم الجديد عالم متغير ، سريع التطور ، على عكس العالم القديم الذي استمر قرونا طويلة من الزمان ، يعرف كل واحد فيه درجته بالنسبة الى غيره من الناس ، ويعرف كل ما فيه من أوضاع ثابتة ونظم لا تتبدل ، وكان يكفي أن يدرك المرء هذه النظم ، ويقطن الى مداخلتها ، ليتعلم كيف يشق طريقه في ذلك العالم الثابت . ومن هنا طلع المفكرون بنصائح تلائم زمانهم ، وظلت صالحة للتطبيق خلال قرون عديدة . فهذا

وهل يحتاج ناشئة اليوم الى نصيحة ؟ نعم انهم في أمس الحاجة الى النصيح والتوجيه والارشاد ، خلافا لما يزعمونه خروجاً على المألوف ، واتباعاً للرأي والهوى ، لأنهم - فيما يتصورون - أصدق نظراً ، وأصح فكراً ، من الشيوخ الذين يؤدون نصيحهم بأراء يرون أنها أضحت بالية ، وأفكار أمست عتيقة .

وليست معركة الشباب والشيوخ جديدة ، وانما هي قديمة قدم التاريخ ، تمثل طريق الحضارة وسبيل التقدم . ويكفي أن نذكر في هذه المناسبة على سبيل المثال تمثيلية « السحب » من تأليف أرسطوفانيس شاعر الملهاة الأثيني المشهور في القرن الخامس قبل الميلاد ، فانها تصور في ذلك الزمان ما يحدث الآن في القرن العشرين ، من اختلال الموازين بين جيل وجيل ، أو ثورة الجيل الحديث على القديم . وتذهب التمثيلية الى أن سقراط كان يعلم في مدرسة ويأخذ أجراً على التعليم ، وطرق بابه شاب يريد أن يتعلم صناعة الخطابة والجدل والبيان ليثبت لمن اقترض منه الدين أنه لم يقترض .. الخ . والمغزى المقصود أن سقراط أثار الشباب على آباءهم ، وهذه إحدى النهم التي من أجلها حكم عليه بالاعدام . ولكن شتان بين القرن العشرين والقرن الخامس قبل الميلاد ، فذلك القرن كانت صناعته الكلام ، وهذا بضاعته العلم والعمل .

الحق أن القرن العشرين يمثل انقلاباً خطيراً في أوضاع العالم ، بسرعة سريعة ، لا يكاد المرء يلاحقها . فالانسان قد اجتاز خلال القرنين السابقين عدة ثورات أو طفرات غيرت الأوضاع : الثورة الصناعية ، والبخارية ، والكهربائية ،

بقلم الدكتور
احمد فؤاد الالهواني

أبو حامد الغزالي مثلا كتب رسالة صغيرة سماها : « أيها الولد » نصح فيها الطالب بالعمل بعد العلم ، وبالتجرد الى معرفة الله ، والقصص في كسب العلوم . وقد ظلت تعاليمها مرعية أجيالا ، ولكنها لم تعد تصلح كل الصلاح في هذا العالم المتغير المتطور .

وانطلاقا من هذا التباين الحاسم بين عالمين : عالم ثبات وعالم تغير ، لا بد أن تكون النصائح الموجهة للناشئة مختلفة ، وهي فيما نرى ست ، نجعلها في ما يلي :

الاعتماد على النفس

كانت الناشئة في العصور القديمة تعتمد على الحسب أو الثروة أو المنزلة والسلطان ، وهذه الثلاثة سند الحياة الرغدة المانحة . أما اليوم ، وبعد انتشار التعليم وتطلع الفرد الى الحياة الديمقراطية ، لم يعد للحسب أو المنزلة أو الثروة الموروثة سلطة كبيرة يستند اليها طالب العيش . ولم يبق أمامه سوى الاعتماد على النفس ، والزلول الى معترك الحياة ، والجدد في كسب المعاش . ولما كانت الظروف متغيرة ، بل سريعة التغير ، فلا بد له أن يكون على استعداد للتكيف مع هذه الظروف . لقد ضاقت الأرض بمن عليها ، وأصبح من اللازم استغلال كل قطعة من الأرض ، وابتكار وسائل جديدة للتنمية والزراعة ، حتى لا يفضي نقص الأغذية الى كوارث ومجاعات . وخير سبيل في هذه المرحلة هو الاعتماد على النفس ، واعداد العدة لذلك ، واتخاذ الأهبة والتوسل بالأسباب الموصلة الى هذا الاعتماد . ومن جملة هذه الوسائل ما يتبع الآن في الدول الغربية من تعلم الناشئة المبادئ الأساسية العملية لل عمران من نجارة وحدادة وبناء وزراعة وغير ذلك . فأنت قد لا تجد شخصا في العالم الغربي يجهل هذه الأوليات الضرورية .

التربية عن طريق النشاط

ولما كان الاعتماد على النفس لا يتحقق الا بضرب خاص من الاعداد والتعليم والتدريب ، وكان المشوّل عن هذه التربية هي المدارس ، فقد أخذت التربية منذ القرن التاسع عشر تنادي بانقلاب في التعليم ، يكون الطفل فيه مركز النشاط ، هو الذي يعمل ويتعلم ، بحيث لا يكون المعلم سوى مرشد الى الطريق . وظهرت

فلسفات شتى تربوية تعتمد على طرق أساسها التلميذ نفسه ونشاطه ، بعضها يسمى طريقة المشروع ، أو « ديكرولي » ، أو التربية الحديثة ، وغير ذلك مما يرجع الى الاعتماد على النفس ، ولقد أثمرت هذه الألوان من التربية ثمرتها . ولكنها في بعض البلدان الغربية ، أضحت بسبب المغالاة في الحرية الممنوحة للطفل آفة يشكى منها ، وأصبح من الواجب تقديم أظافر هذه الحرية التي لا تعرف الحدود ، بعد أن ظهرت في الشباب ألوان من الفساد تهدد كيان المجتمع بالانهيار . أما بالنسبة لشرقنا العربي فقد حاكبها في مدارسنا النظم التربوية الحديثة ، بيد أننا لم نطبقها التطبيق الصحيح في الأغلب الأعم ، إذ تدرس حصص الأشغال اليدوية ، والفلاحة ، والموسيقى نظريا داخل الفصول ، والمفروض أنها دروس عملية . وعذر المدارس في ذلك أن النهضة التعليمية جاءت مفاجئة ، وهي تحتاج الى أموال طائلة لإنشاء الورش والمعامل .

ونصيحتي الى الشباب أن لا يمكن تحصيله في المدرسة عليهم استدراكه بأنفسهم ، وتعويد اليد على العمل ، حتى لا ينشأ الفتى محتقرا للأعمال اليدوية ، فإن سر نهضة الأمم يكمن في أمرين : السير في طريق الجيد ، وانفاق الوقت في العمل .

مسيرة الميول الطبيعية

ولا خير في عمل يقصر المرء نفسه على أدائه ، ويقهرها على قبوله . ان مفتاح النبوغ ، وسر النجاح ، مراعاة الميول الطبيعية التي يتجه اليها الشخص بحسب ما يحس به . لقد سمت الحضارة الغربية في القديم لاتباعها هذا المبدأ ، فكانت كل المناصب والأعمال والحرف مبنجة ، ما دامت شريفة . ولم يكن ثمة تعارض بين أن يكون العالم فقيها وفي الوقت نفسه تاجرا ، كأبي حنيفة الذي كان بزازا ، وأحمد بن حنبل الذي كان يتكسب من الغزل ومن النسخ بالأجرة .

لقد طال العهد بالشرق في عصوره المتأخرة أن يحتقر أهله الأعمال اليدوية ، وان يرفع من شأن العلوم النظرية . يقول القائل : لا بد أن أدرس الآداب ، أو الحقوق ، لأنه في بعض العهود كانت سوق المحامين واثمة ، يختار منهم الوزراء ورجال الحكم . وكثيرا ما كان الشباب يؤثر دراسة الحقوق بغية الوصول الى ذلك المنصب ، على الرغم من أن ميوله لا تتفق مع الدراسات

النظرية . ويجري في الوقت الحاضر ما يشبه ذلك ، حين راجت صناعة الهندسة فاتجه اليها الشباب . فاذا أخفق ، وكثيرا ما يفشل ، فلأن ميوله النفسية الفطرية لا تتلاءم مع الدراسات الرياضية والآلية .

مسيرة حول المجتمع

ان لكل مجتمع متطلباته ، فهناك مجتمع القرية ومجتمع المدينة ، أو المجتمع الزراعي والمجتمع الصناعي . وأحوال المجتمعات متغيرة ، ولكل مجتمع تقاليده وتراثه . لذلك لا يمكن ان تنطبق نصائح عامة على سائر المجتمعات . ومن طبيعة المجتمع ان يصهر الأفراد في بوتقة بتوحيد العادات والتقاليد . لذلك ينبغي على كل فرد أن يسير أحوال المجتمع الذي يعيش فيه .

التحلي بالفضائل

الفرد عضو في جماعة ، وواحد في أمة ، وبصلاحه تصلح الأمة ، وبفساده تفسد . والصلاح والفساد مرادفان للفضيلة والرذيلة . وقد نزلت الشرائع السماوية تأمر كلها بالصلاح والسلام ، وتنهى عن الشر والعدوان . ونصيحتي الى الناشئة الابتعاد عن الاستهتار والانحراف ، والابتعاد عن المفسدات حتى لا يعتادها الشاب ويصعب عليه بعد ذلك الاقلاع عنها ، والتحلي بالفضائل ، كالكرم ، والنجدة ، والشجاعة ، والمروءة ، والصدق ، والعفة ، والحياء ، واحترام الوالدين .

التسلح بالعلم

ان العصر الذي نعيش فيه يعد بحق عصر العلم . ونعني بالعلم ملاحظة الظواهر الطبيعية ملاحظة دقيقة موضوعية واقعية ، ومعرفة القوانين العامة التي تخضع لها هذه الظواهر . وقد استطاع الانسان أن يكشف خصائص المادة ، ويدرك أنها مركبة من ذرات ، ثم ينتج المادة بتركيب جديد . ولا يستطيع أي فرد في العصر الحاضر أن يعيش دون مساهمة ركب العلم ، ودون أن يتعلم كثيرا من المبادئ الرياضية والطبيعية التي تعد اليوم من قبيل الأوليات ، حتى يتمكن من استعمال الآلات والأدوات الحديثة المستخدمة في مختلف مجالات الحياة .

فالعلم زينة للمرء ، وحلية للأمة

أفيرة هزميت كسرى

أخذت « كسرى برويز » عزة السلطان حين أبلغه رسوله الى النعمان ، ان « أبا قابوس » يأبى أن يرسل اليه مطلبه من الكرائم العربيات . فأرسل يستقدم النعمان اليه ، وقد أضمر له الشر ، بتحريض كاتبه زيد بن عدي ، الذي كان النعمان قد قتل - عديا - أباه .

وشعر النعمان بما يضمه له كسرى ، وبأنه صائر الى الموت اذا هو سار اليه . وأدرك انه لا يستطيع أن يمنع نفسه منه ، اذا بقي في الحيرة ، لأنه هناك في متناول يدي ذلك الباغي العنيد ، فقرر الفرار منها ، الى من يجيره من قبائل العرب . فسار أولا الى قبيلة طيء في أعالي نجد ، وهو صهر لها ، وطلب اليها أن تحميه بين جبلي اجا وسلمى ، فأجابته شيوخ طيء : « والله لا يمكننا ذلك ، ولولا صهرك لقتلناك ، فانه لا حاجة بنا الى معاداة كسرى » .

ولقي أبو قابوس من القبائل الأخرى مثلما لقي من طيء ، الا رجلا من بني شيان قال له : « انني مانعك مما أمنع منه نفسي وولدي وأهلي ، ما بقي في عشيرتي الأذنين رجل . ولكنني لا أرى من ذلك نفعا لك لأنه مهلكي ومهلكك . ولذلك أشير عليك بأن تذهب الى كسرى مستعطفا واحمل اليه الهدايا ، فاذا صفح عنك عدت ملكا ، والا فالموت خير لك من أن يتلاعب بك صعايلك العرب » .

وكان هذا الرجل هانثا بن مسعود الشيباني ، وقد استحسن أبو قابوس رأيه ، واستودعه ما لديه ، وذهب الى كسرى ولكنه لم يعد ، فقد قتله كسرى قتلة اختلف في خبرها المؤرخون . فقال بعضهم انه أطلق عليه الفيلة فسحقته تحت أقدامها ، وقال آخرون انه سجنه في خانقين ثم في ساباط الى أن مات ، وكان ذلك قبل ظهور الاسلام بنحو ثلاثة عقود من السنين .

وأمر كسرى بعد قتل النعمان بأن تحمل اليه هند بنت النعمان ، الملقبة « بالحرقة » ، وبلغها ذلك فهامت على وجهها في البوادي تطلب النجاة . فأرسل كسرى صوائح في بلاد العرب : « ان برئت اللمة ممن يحمي « الحرقة » أو يؤويها » .

وخشيت قبائل العرب بأس كسرى ، فتخاذلت الواحدة بعد الأخرى عن حماية بنت النعمان ، مما أثار شجونها ، واستثار عزة المجد الضائع والاباء الطريد في نفسها . فأخذت ، وهي شاعرة ، ترسل أبياتها موشحة بالحزن والألم واليأس المر :

لم يبق في كل القبائل مطمع
لي في الجوار فقتل نفسي أعود

جمدت عيون الناس من عبراتها
وقلوبهم صم صداد جلمد
لا يرحمون يتيمة محزونة
مقتولة الآباء نضوا تطرد
تبغي الجوار فلا تجار وقيل ذا
كان المنادي للجوار يسود

ولكن الفتاة البائسة الياسة ممن يجيرها ، لم تعدم هذا الجوار : فقد وجدته في امرأة مثلها ، عزيزة في قومها نافذة الكلمة بينهم ، شاعرة تثير بشعرها المم ، وتقذح زناد المروءات ، وتذكي ضرام العزة والكرامة في النفوس ، فتستهين بالمخاطر وتستعذب الموت في سبيل الحفاظ على شرف المجير وسلامة المستجير .

وجدت « الحرقة » هذا المجير في صفية بنت ثعلبة الشيبانية ولقبها « الحبيجة » ، فأجازتها وهي تعلم تماما خطورة ما أقدمت عليه ، وقامت الى قومها تعلمهم بما فعلت ، وتحرضهم على شحذ سيوفهم للقتال :

احيا الجوار ففقد أمانته معا
كل الأعارب يا بني شيان
فعل الأكار قد اجرت حرة
بكهول معشرنا وبالشبان
شيان قومي هل قبيل مثلكم
عند الكفاح وكرة الفرسان
لا والنواب من فروع ربيعة
ما مثلهم في نائب الخدعان

انسي حبيجة والى وبوائل
ينجو الطريد بشطبة وحصان
وجرد كسرى جيشا لقتال بني شيان ، فقاتلوه حتى هزموه ، وغنوا ماله وأثقاله . فقالت الحبيجة تصف ذلك الانتصار ومغانمه ، وتفخر بقومها وشقيقتها عمرو :

يا آل شيان بعد اليوم لا صدر
عن الكفاح وضرب مثلف القمم
انسي وعمروا على وعد يفي به
من الوفاء وأسباب من الدم
هذا مقالي وقومي قائلون معي
كما أقول لسان صادق بفم
قولوا لكسرى اجرنا جارة فتوت

في شامخ العز يا كسرى على الرغم
نحن الذين اذا قمنا لداهية
لم نبتدع عندها شيئا من الندم
نحوط جارتنا في كل نائبة

ونرفد الجار ما يرضى من النعم
وعاد كسرى يعزز جيشه ويضاعفه ، ويدفعه

بضم الستا سحاه جابر

حتى اقبلت هي اليهم وبرزت الى الساحة تشجعهم
وتستهضمهم للقتال ، فرقة فرقة ، وفئة فئة :
ايهاً اجيدوا الضرب يا (حنيفة)
فأنتم الجمجمة الشريفة
(لجيم) قومي وبنو آينا
ليوا لدى الهيجا مغليبا
الفخر فخري ب سراة (عجل)
هم معشري في نجدهم والسهل
من الذي يحيي الخيام والنعم
ومن يطاعن تحت سربال القسم
ان صبرت (ذهل) فعزي اليوم تم
وهكذا حتى انتهت الى قومها الأقربين بني
شيبان ، فسارت أمامهم وهم وراءها ، وهي تشد :
ايهاً بني شيبان صفا بعد صف
من يرد العلاء لا يخشى التللف
من حاذر الموت تنحى ووقف
ان الشجاع باسل فيه الصلف
وحمل العرب على جنود كسرى ، الذين تكاثروا
عليهم حتى كادوا يهزمونهم ، فأسرعت صفية
تقطع جبال الهوداج ، فتساقطت النساء عن

في أفية جيشه . حتى لم يبق له مطمع فيهم .
فيعود الى كسرى الذي زاده ذلك حنقا ، فجهز
قوى جديدة ، أراد بها سحق بني شيبان ،
وتدمير ديارهم ، وسبي نسايتهم ، وانتزاع تلك
التي أجاروها منه ، مهما كلفه ذلك من دم
ومال . وبلغ ذلك «الحجيبة» فلم يهلها ،
لأنها كانت تتوقعه ، ولكنها أرادت أن تزيد في
تحميس قومها لكي تستوثق من استبالمهم في
القتال ، فقالت لهم : أنستقيمون وتصبرون ،
أم أستجير لي ولجارتني بقبائل غيركم ، وأريكم
العز الأعز ؟

ماذا ترون بني بكر وقد نزلت
كبرى النوايا والأخرى على الاثر
أنصبون لشعواء مللملة
فيها الأعاجم بالنشاب والوتر
ام لستم أهل صبر في لوازمها
عند الحفاظ والجارات والخضر
اني اجرت بكم يا قوم فاصطبروا
فالصبر يحلل فوق الأنجم الزهر
وكان بنو شيبان قد اجتروا على كسرى ،
واستلوا طعم الانتصار ، واعتزوا بالغلبة ، ورأوا
في ذلك مجال فخر لهم على القبائل الأخرى ،
لأنهم أول من جابه كسرى وتحداه ، وهجم
على جيشه . فاستجابوا لصرخات شاعرتهن
متحمسين مصممين على النصر ، أو الموت دونه ،
وشعرت «الحجيبة» بأن يومها الذي ادخرت
له نفسها ، قد جاء ، وانها وقومها في موقف
فاصل بين الموت والحياة ، وانه موقف خالد
كريم . فما أن أقبل أبطال قومها على القتال ،

الى قتال بني شيبان بقيادة منصور ، وهو أحد
قواده من العرب . ويرسل منصور هذا رجلين
من مقدمي جيشه الى بني شيبان يطلب منهم
أن تنزل هتد عند طاعته ، وهو يرى ذمتهم
مما فعلوا ، فتلقى «الحجيبة» الرجلين ،
وتخاطبهما :

قولا لمنصور لا دوت خلائقه
ما صاح فيهم غراب الين أو نعا
من زوج الفرس يا متبول قبلكم
من الأعارب يا مخذول أو سقا
يا ويح أمك يا منصور ان لنا
خيلا كراما نصون الجار ما علقا
آلت بنو بكر ترضى ما كبت به
يا ابن الدنيا فاجمل ان أردت بقا
وحارب منصور بني شيبان ، ولكنهم كسروه ،
وأمدته كسرى بجند من العرب يعدون عشرين
ألفا ، وعلمت الحجيبة بالأمر ، فقامت تستشير
قومها :

ماذا أحاذر من عشرين بعدهم
منصور في حي غمان على نجب
وعندي الاقيم الهماس من فئة
منهم ظليم وعمار بن ذي كرب
وبعد أن تعد جميع أبطال قومها زيادة في
تحميسهم على القتال ، وتخص أخاها عمروا
بما هو أهل له من أوصاف البطولة ، تصيح :
لا تكشفوني بهذا اليوم وارقبوا
يومي لوقت اجتماع العجم والعرب
فهي ترى مع ذلك انه لم يحن بعد ، اليوم
الذي يجب أن تظهر فيه في ميدان القتال ،
وان عليها أن تدخر نفسها ليوم أعظم .. ليوم
ينازل فيه قومها جيش كسرى من الفرس ،
وكسرى نفسه .

ويستجيب قومها لندائها مستبشرين ، ويمشون
الى القتال مستميتين ، فيهزمون منصورا ، ويضربون



الجمال . ورأى رجالهن ذلك : فانعطفوا على القتال
عطفة من لا يرجو الحياة . وصرخت صفية
تنادي أخاها :

يا عمرو يا عمرو الفتي ابن ثعلبة
حام على جارتك المستقربة
وزاحم العجمان عند العقبة
وحمل عمرو وقومه على الفرس ، ولكن كثرة
هولاء كادت تغني أبطال العرب ، وإذا ظليم
ابن الحارث الشكري يقبل على رأس قومه ،
فأيقنت صفية بالنصر ، وأنشدت :
احمل (ظليم) في العجاج الأسود
ففيه عمرو كالفزير الأربيد
أدرك فأنت غاية المستنجد
واعدُ على القوم كعدو الأسد
بسدي جنان كالصفاء الأصلد
بالشكريين كرام المحتد

فحمل الشكريون حملة صادقة ، فرجوا بها
عن بني شيان . واستمر القتال أربعة أيام ،
لم تكل فيها « الحبيجة » ولم تمل تحريض قومها
على الثبات والاستبسال . وقد جاءت في اليوم
الرابع « بالحرقة » وقالت لما : هذا آخر يوم بيننا
وبين هولاء القوم ، فاسفري على عمرو (تعني
أخاها) وأوصه بما شئت ، ففعلت هند ذلك ،
وقالت تخاطب عمرو :

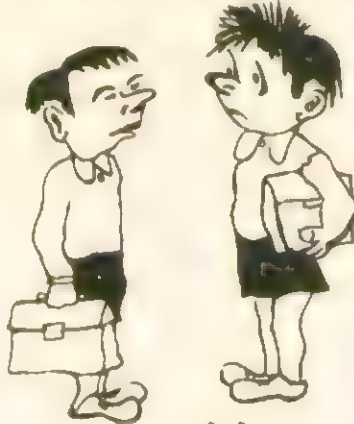
حافظ على النسب النفيس الافرغ
بمدججين مع الرماح الشرع
الى أن قالت :

أظهر وفاء يا فتي وعزيمة
أنضيع مجدا كان غير مضيع
وعندما تمت الغلبة لأبطال العرب ، وكانت
المرة الأولى التي تنتصر فيها العرب على العجم
انتصارا حقا ، تنفست هند الصعداء ، وقد شعرت
بأنها نجت ، وإن قومها انتقموا من كسرى
لأبيها ، وقالت :

حمتني بنو شيان والحي تغلب
بقب المذاكسي والسيوف القواضب
نجوت بعمر من مطامع كيسر
وعلو شهاب يوم روع المقانصب
وقد امتدحت هند صفية بقصيدة رائعة
وصفت بها كيف اجارته يوم تخل عنها
الجميع ، وتغنت بشجاعة بني شيان ، ومنها :
المجد والشرف الجسم الأرفع
لصفية في قومها يتوقع
ذات الحجاب لغير يوم كريمة
ولدى الهياج يحل عنها البرقع

عبدالله . . لا احمد

أرسل رجل ولده الى مدرسة داخلية ، وبعد مدة
تسلم الأب كتابا طويلا من مدير المدرسة يقول فيه :
- ان أحمد من أنجب الطلاب لدينا ، وهو مثال
الأخلاق والاجتهاد والطاعة والتعاون ... الخ .
فأرسل الرجل رسالة جوابية الى مدير المدرسة
قال فيها :
- سرني جدا ما ذكرتموه عن أحمد فيبدو أنه
تلميذ ممتاز .. أرجو أن تكتبوا لي عن ابني
عبد الله الذي التحق بمدرستكم مؤخرا .



بخلاف أبيه

التلميذ لزميله : ان والدي يريدني أن أحصل على كل
شيء حرم منه هو في صباه .
الزميل : مثل ماذا .. ؟
التلميذ : أن أحصل على علامات ممتازة في
دروسي .

سعر خاص

قال موظف السنترال الى رجل طلب الاتصال هاتفيا
ببلدة بعيدة : - ان هذه المكالمات ستكون لك حصة
ريالات .
فقال الرجل : - أليس هناك سعر خاص للاصفاء
فقط .. انني أريد الاتصال بزوجتي .

مركز حرج

كان رجل أمي يحاول الوصول الى حل لمشكلة
قد اعترضته ، فمضى الى العمدة يسأله العون في ذلك
فقال له : أنت في مركز حرج الآن .
الأمي : مركز حرج .. !

العمدة : نعم .. مركز حرج .
الأمي : يا ترى ... لاية مديرية يتبع هذا المركز ؟

زهرة . . صفراء

قالت الفتاة لزميلتها في زهر وكبرياء : - ان
خطيبي يقول بأن وجنتي كالزهرة المنفتحة .
فاجابت الزميلة : - بكل تأكيد .. أظنه يقصد
النوع الأصفر من الزهور .

خاب ظنه

الفتي لزميله : عندما دست على قدم ذلك الرجل هل
اعتذرت منه ؟
الزميل : طبعاً .. ولما رأيته أسرف في الاعتذار
أعطيني ريبالا .
الفتي : وماذا فعلت بعد ذلك ؟
الزميل : دست على قدمه الأخرى فلم يعطيني
شيئاً .

احلام البقطة

الأول : لقد رأيت زوجتي متانما مضحكا ليلة البارحة .
الثاني : وماذا رأت ؟
الأول : حلمت بأنها زوجة مليونير !
الثاني : (متهدا) : يا حسن حظك .. فزوجتي
تحلم بذلك أثناء النهار .



في شهر العسل

الزوج : ما الأمر يا عزيزتي .. ان المنزل مليء
بالذهب .
الزوجة : لا تنس يا عزيزي أننا في شهر العسل !

مصحف

«جيلنا قد انقصف ليله أو كاد . ولعله الى الشمس أدنى مما يحسبون . بين جيلنا وبيننا موعد حب في عهد حياة ..»
ولا يلبث المؤلف الذي يتطلع دائما الى فوق ، أن يكشف عن سر عظمة الانسان في كل جبل من الأجيال فيقول في أسف وأمى : «بالسما لم يحلم جيلنا بعد..»

ألف خليل رامز سر كيس كتابه (مصور) الا ليلد جيله على تلك السماء الوثيقة الصلة بالأرض . «مصور» قصة انسان ممتاز ، انسان الغد المرتجى الذي يأنف أن يعيش على هامش الحياة ، ويزمغ على أن يشق طريقه الى القمم يديه القويتين اللتين لا تسامان العمل الدائب .

انسان «مصور» لا يوتر الدعة ، ولا يخلد الى اللامبالاة ، بل هو مغامر كبير في سبيل أهداف عليا ، فهو يأبى الا أن يصارع أمواج الحياة المتلاطمة ، ليبحث أصول القبح والشر ، وينمي معاني الحب والخير ، حتى يحقق انسانيته بكل ما فيها من طاقة وإبداع .

وهو متحرر الذهن ، بعيد الطموح ، يحب الانفتاح على كل اتجاه . لأن في ذلك تجديدا لآفاقه ، واستخلاصا لطاقت الخير والجمال التي لا تنضب . وهو على سعة تجاربه الذاتية ، لا يستهين بتجارب الآخرين ، بل يجد فيها اغناء لذاته ، وانماء لكيانه ، وهو أخ كل طالب حقيقة وان لم يكن على مذهبه .

الايمان ، والمعرفة ، والحب ، هي العناصر الثلاثة التي لا غنى عنها لانسان خليل رامز سر كيس ، وهو يقوم في هذا العالم بمغامرته الكبرى الا وهي تحقيق مصيره ، مصير الانسان الخير البناء المبدع ، الذي يطمح دائما الى الأمام . وكل بناء يشاد وهو خلو من هذه العناصر الرفيعة مجتمعة ،

الموضوع عند خليل رامز سر كيس هو الانسان ، هذا الجرم الصغير الذي فيه انطوى العالم الأكبر . اليه دائما يتجه فكره ، وعليه غالبا يدور حوار . ففي (أيام السماء) وبعده في (أرضنا الجديدة) وأخيرا في كتابه (مصور) ، لم يكف المؤلف عن التصدي لمشاكل الانسان واقتراح حلول لها ، ولم يفتأ يذكره بالمخاطر التي تنتظره على دربه كي لا يتردى ، ولم يزل يوقظ طاقاته المبدعة ويحفز قواه الخيرة حتى يبلغ به الهدف الأسمى .

تلقت خليل رامز سر كيس حوله ، فيا هول ما رأى ... رأى الأرض بركانا ، والنهار ليلا ، ووجد المسرة لا ظل لها والسلام في حالة احتضار . جيل ضائع ، لا مبال ، أعمته المادة ، وغلقت قلبه الشهوات ومزقه القلق ، لا ينهد الى الجلى ، ولا يرتفع فوق ذاته ، يسير ولا يعرف لماذا وإلى أين يسير ، ويتحرك وكأنه في غمرة من حلم ثقيل . أيقف مكتوف اليدين ازاء ما يتهدد جيله من كوارث ، وهو من النخبة الواعية المسؤولة ؟ أيسكت وغد الانسانية على شفا هاوية ؟ لا .

لا بد على الأقل من بث الكلمة الهادية المضيفة . ها هو يهتف في مرارة ملء حنجرتة القوية : (جيلنا اليوم أخرس غير ناطق ، لا صوت ، لا حراك ، على ما فيه من صخب وضجيج . لا شعر في عمرنا . فعمرنا كله نثر . قصائدنا أبيات . أبياتنا حطام . كلنا اليوم حطام . البندقية أردت العصفور الذي فينا . الا أنها لم تستطع أن تقضي على سجيّة التفريد ..)

ما دام فينا عرق ينبض وقلب يخفق ، فلا داعي للقنوط ولا يأس مع الحياة العارمة . فخيوط النور تغالب الغياهب ، ومجال العمل رحيب مفتوح أمام جميع الطامحين ، لا علو اذن لمتقاعس ، ولا ذريعة لمتشائم .

تأليف الاستاذ خليل رامز سر كيس
عرض وتعليق الدكتور عارف قباية

بناء مشوه أساسه على رمال ، ومصيره الى انهيار وزوال .

فالايامن يصل بين الانسان وبين خالقه ، فاذا « بنهاية الأرض ليست نهاية العالم ، ولا نهاية التاريخ ، بل هي مطل على مدى لعالم جديد . » وبالايمان وحده تصبح نهاية الأزمنة ليست فناء العالم ، بل غاية الخطو نحو الاكمال . ولكن الايمان ليس فقط صلة بين الخالق والناطق ، بل الأولى أن يقال انه (صلة ذاتية وموضوعية بين الانسان والانسان ، زيادة على كونه صلة دينية وعالمية — خاصة وعامة — بين الاله والبشر ، أفرادا وجموعا ...)

والمعرفة تنبّه الى ما لوجود الانسان من غايات سامية ، وهي تعرفه بحقوق الآخرين فبراعيتها برغم ما فيها من تداخل وتشابك ، كما أنها الطريق الوحيد الى العمل الواعي المثمر .

والمعرفة بحر لجتي لا ساحل له ولا غور ، ولكن الافعال فيه يزيد من عظمة الانسان : (اني أطمح الى مزيد ايمان في أبجديتي ، فأتقرى معناها قبل أن يكون وبعد أن يكون . لكم شعرت دوام المغامرة فيما لا يدرك عمقه . لكم شعرت بأن ما أروم يتأبى عليّ كلما أوغلت فيه . هنا مأساتي وعظمتي في يوم معا ، مأساة

المغامرة وعظمة المصير .)

والحب هو توأم الايمان والعقل ، يزيل الفوارق بين بني البشر ، ويشد الأجنحة الضعيفة لتنتقل وتحلق في الأجواء البعيدة . وهو يقضي على أسباب الحروب ، ويطلع في حقول الحياة ازهار السلام والوثام ، وهو اذا بشر بشر برق ، واذا عالج الانحراف عالجه بهودة دون عنف . (ومهما كابدت مغامرتي من مشاق طلب المعرفة سعيا لما أعتقد أنه الحق ، فلن أتخلّى عما لا يتجزأ من كياني .. شريعة الحب ..)

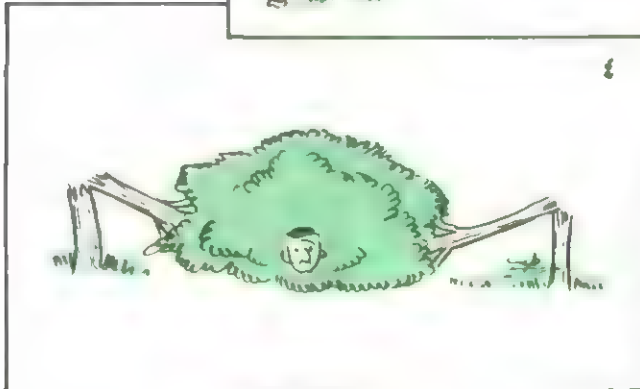
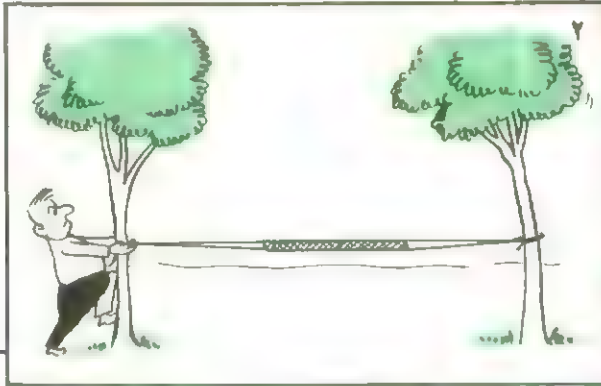
فان انسان (مصير) انسان واقعي ، يجمع بين الروح المادة ، بين الايمان والعقل ، بين الحب والاصلاح ، وهو في كل أعماله لا يسير الا على هدى الشيم الشهمة ، وضوء الأخلاق الرفيعة « ذلك أن بالمغامر المؤمن اصالة معرفة تأبى ارتجالا ، واصالة جمال تأبى قبحا ، واصالة حق تأبى أن يحول العدل الى نظم انتقام — فضلا عن اصالة طموح يأبى الطمع ، واصالة خلق يأبى تسخير القيم لقسر واذلال .. »

وخليل رامز سركيس في كل ما يكتب ، لا يحرك قلمه ليسجل خلجة عابرة ، ولا ليؤدي فنا من فنون البراعة اللفظية ، وانما ليؤدي رسالة

حيوية واعية ، آمن بها قلبه ، واقتنع بها فكره ، ليرفع من شأن الانسان ، وليعيد اليه نضارة عيانه . فقلمه نظير مبضع الجراح الماهر ، يستأصل الأورام الطارئة والخلايا الشاذة المهترئة في رفق وحب وتوؤدة ، ليترك الخلايا السليمة الحية مجالا لنمو طبيعي مشبع بالعافية . ورغم أن هذا الكاتب يهيمه الفكر وصدق الأداء قبل كل شيء ، فان أسلوبه المضيء نسيج وحده في الرشاقة والدقة والبيان .

لست أزعم اني وفقت الى تلخيص الكتاب في هذا العجالة ، فالبحر لا يختصر في قطرة ، والروض لا ينقل في زهرة ، ففي كل صفحة من صفحاته منطلق رجب للتأمل والتدبير والتفكير . ولا ريب في أن القارئ سيخرج منه وهو أكثر حبا للحياة ، وأشد ايمانا بغاياتها السامية ، كما سيجد نفسه أكثر ثروة مما كانت عليه قبل قراءته ، وأعظم اقتناعا بدوره في تشييد غد بهي رائع . حسب هذا الكتاب أنه يفتح أمام الانسان آفاقا واسعة فيها جدة وفيها تنوع ، وفيها حافز للتفكير ، آفاقا ملأى بالحب والمعرفة ، والأمل والعمل ، وحسبه أيضا انه ينأى به عن الهاوية التي تغرق شديقها في وجهه ، هاوية التمزق ، والضياح ، واللامبالاة ■

كاريكاتور



• أخرجت المطبعة العربية أعيراً عددا من كتب المصادر والمعاجم الهامة من بينها «المعجم المصنف للألفاظ الحضارة» للدكتور مجدي وهبة بالفتن الإنكليزية والعربية ، وفيه نحو ستة آلاف لفظة من الألفاظ الحضارة المتداولة في الحياة المعاصرة ، و«القاموس السياسي» للأستاذ أحمد عطية الله وتناول فيه نحو أربعة آلاف مادة تتصل بالدول وجغرافيتها واقتصادها والمؤسسات الدولية والموارد الطبيعية وما إليها . كذلك صدر الجزء الأول من «صحيح البخاري المفهرس» وفيه معجم مفهرس للألفاظ وقد وضعه الدكتور مصطفى كمال وصفي . كما أصدر الدكتور صلاح الدين المنجد جزءين من «معجم المخطوطات المطبوعة بين سنتي ١٩٦١ و ١٩٦٥» ، وقد حصر فيهما ما صدر من كتب التراث المحققة في تلك الفترة . وفي الوقت عينه أصدرت الأدبية سهى نعيم قائمة ببلوغرافية شاملة لجميع المؤلفات والدراسات التي وضعها أساتذة الجامعة الأميركية في بيروت في جميع فروع المعرفة بالفتن الإنكليزية والعربية في مدة ستة كاملة ، وتقع هذه القائمة في ٤٠٠ صفحة . وأصدر الأستاذ عمر رضا كحالة طبعة ثانية من «معجم قبائل العرب» تقع في ثلاثة أجزاء كبار .

• أعد العلامة الكبير الأستاذ خير الدين الزركلي لفهرس سلفا عنوانه «الاعلام بما ليس في الاعلام» فيه استدراك بالزيادة والتفصيح للمادة العلمية التي اشتملت عليها موسوعته الفريدة «الاعلام» بأجزائها العشرة .

• جهز الأستاذ يوسف أسعد داغر لفهرس جزءا ثالثا من كتابه «مصادر الدراسة الأدبية» فيه ترجمات ولوائح ببلوغرافية مفصلة لنحو ٤٣٥ من اعلام الفكر العربي الذين توفوا بين عامي ١٨٠٠ و ١٩٦٧ .

• اشترك الدكتوران فؤاد صروف وأنيس فريحة في ترجمة فصول كتاب نفيس عنوانه «الجامعة وانسان الفد» اشتمل على ثمان مباحثات ألقاها أئمة المشتغلين بالتعليم الجامعي في العالم في موضوع الجامعات ومهمتها في المستقبل .

• صدرت مجموعة من كتب التراث المحققة منها «تلخيص الخطابة» لأبي الوليد بن رشد وقد حققه وشرحه الدكتور محمد سليم سالم ، و «موطأ الامام مالك» عن رواية محمد بن الحسن الشيباني ، وقد حققه وعلق عليه الأستاذ عبد الوهاب عبد الطيف ، و «اعطاء اخفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ وقد حققه المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال ، و «تاريخ الموصل» للشيخ أبي زكريا يزيد بن محمد بن ابراهيم بن القاسم الأزدي وقد حققه الدكتور علي حبيبة والجزء الثالث

من «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي وقد حققه الأستاذ محمد علي التجار . وقد قدم لهذه الكتب جميعا العلامة الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم .

• صدرت للمرحوم الأمير شبيب أرسلان طبعة ثانية من كتابه «معان المساعي في مناقب الامام أبي عمرو الأوزاعي» بمقدمة للشاعر القروي رشيد سليم الخوري .

• وفي باب التراجم والسير ، صدر كتاب «أبطال الفتح العربية» للأستاذ السيد فرج راويا فيه سير خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، والزيبر ابن العوام ، وموسى بن نصير ، وأبي عبيدة ابن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وصلاح الدين الأيوبي ، وأسامة بن منقلد . كما صدرت طبعة ثانية تقع في أكثر من ٨٠٠ صفحة من كتاب «جبران حيا وميتا» للأديب المهجري حبيب مسعود .

• أصدر الأستاذ محمد نصر كساب بعنوان «صفحات من حياتهم» ترجم فيه ستة وعشرين من الأدباء المعاصرين وأصدرت الأدبية نبيلة الرزاز اللبكي دراسة جديدة عن «بدر شاكر السياب - حياته وشعره» .

• في الدراسات الأدبية ظهرت الكتب التالية : الجزء الأول من «التقد الأدبي الحديث في لبنان» للدكتور هاشم ياغي وفيه دراسة للحركة النقدية في لبنان حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وطبعة ثالثة منقحة من دراسة رسالة «الففران» للمعري بقلم الدكتورة بنت الشاطي ، و «مع أهلها أبي ماضي في طلائمه» للأستاذ أحمد الشيخ عبد الحميد السماوي ، و «اللقمة العربية عبر القرون» للدكتور محمود حجازي ، و «ساعات بلا عقارب» وهو دراسات في الكتب للأستاذ أنيس منصور ، و «مجموعة الحروف العربية وفرونها» للأستاذ جرجي سليم أبي أسبر وهو أشبه بمعجم مبسط .

• ظهر للأديب السعودي الأستاذ عبد الكريم الجهمان كتاب جديد بعنوان «من أساطيرنا الشعبية في قلب الجزيرة العربية» .

• أصدر الأستاذ عبد الرحمن التكريتي كتابا في جزءين عن «الأمثال البغدادية» .

• في الشعر قدمه وحديثه ظهرت هذه الطائفة من الدواوين : الطبعة الثالثة من ديوان «وحي الفؤاد» للشاعر السعودي فؤاد شاكر ، و «أحان مصرية» للأستاذ صالح جودت ، و «مطل الضياء» للأستاذ جورج داود ، و «نداء القمم» للدكتور يوسف خليل ، و «دموع المهرج» للمرحوم الأستاذ المأمون أبو شوشة ، وديوان من الشعر الشعبي هو

«نابي وشموع» للأستاذ محسن الخطاط .

كما ظهرت للأستاذ سليمان العيسى مسرحية شعرية عنوانها «انسان» .

• أصدر الأستاذ يوسف جوهر رواية طويلة متممة هي «جراح عميقة» . كما ظهرت روايات أخرى منها «الفلاح» للأستاذ عبد الرحمن الشراوي ، و «البلد» للأستاذ عباس أحمد ، و «الخطايا السبع» لأوسكار وايلد وترجمة الأستاذ عمر عبد العزيز أمين ، وكان الأستاذ علي أدهم قد ترجم هذه الرواية ترجمة مشرقة من عشرين عاما ، و «نور بضاء» للورنس داريل وترجمة الأستاذ محمد حازم سليم . وظهرت ترجمة لمسرحية «عربة الصلصال الصغيرة» المنسوبة الى الملك سودراكا وهي من ترجمة الأستاذ فاروق عيد المعطي .

• من الدراسات الفلسفية الجديدة التي ظهرت «لغة الفلسفة» للدكتور مراد وهبة ، و «الفلسفة الفرنسية من ديكاوت الى سارتر» لجان فال ، وترجمة الأستاذ فؤاد كامل ، و «الجزء الثاني من «حكمة الصين» للأستاذ فؤاد محمد شبل .

• أصدر الشيخ محمد بهجة البيطار كتاب «الرحلة الحجازية» ساردا ذكريات رحلة قديمة زار فيها ديار جزيرة العرب .

• فرغ الأستاذان يوسف أسعد داغر وفريد داغر من ترجمة الجزء الخامس من كتاب «تاريخ الحضارات العام» وهو لبعض المؤلفين الفرنسيين .

• في القانون والاقتصاد صدرت الكتب التالية : الجزء التاسع من «الوسيط في القانون المدني» للدكتور عبد الرزاق أحمد السنهاوي ، وطبعة ثانية منقحة من «اقتصاديات العالم العربي» للدكتور راشد البروي ، و «التنمية الاقتصادية - أصولها وقواعدها» للأستاذ فؤاد محمد شبل ، و «في الروابط بين القانون والدولة والفرد» للدكتور نعيم عطية ، و «مبادئ الرياضة المالية» للدكتور سمير بباوي فهمي والأساتذة أنيس فرنسيس وحسن فتح الله وزكي محمد عبد الرحمن .

• اشترك الدكتوران مدوح الوكيل وأحمد فتحي الزيمات في اعراج كتاب عن «النوم والرويا والأرق بين الدين والعلم» .

• صدر مؤخرا كتاب علمي بعنوان «عالم الألكترون» للأساتذة جواد مصطفى جواد ، وعبد الحميد صادق المنشي ، وناجي مزهر عبد الرحمن .

• صدر للدكتور عبد الطيف حمزة كتاب جديد عن الصحافة عنوانه «قصة الصحافة العربية في مصر» .

• «طفلك وفنه» كتاب لفكتور لويونفلد ترجمه الى العربية الأستاذ سامي علي الجمال وراجعته الدكتور يوسف صلاح الدين قطب .

مؤسسة لا غنى لنا عن انتاجها .. ويتوقع لها
النجاح ما دامت ركائز عملها الثلاث، هي :
النظافة، والتقنية ، وتنوع الانتاج .



مصنع الالبان الوطنى في الخبر

ترص علب المنتجات « المبسترة » في
أوعية سلكية ، ثم تنقل توالى الى مستودع التبريد .



مصنع الألبان الوطني كما يبدو من الواجهة الأمامية .

نماذج من الحليب التي تسوق بها المنتجات .

الحليب: غذاء كامل

يعتبر الحليب غذاء كاملا ، نظرا لما يحتويه من متطلبات الجسم ، كالبروتين ، والكالسيوم ، والدهنيات سهلة الهضم ، والحديد ، والفيتامين ، إلا أنه في الوقت نفسه يعد من أخطر الأطعمة وأكثرها نقلا للأمراض . فهو وسيط جيد لتكاثر معظم أنواع جراثيم الأمراض المعدية ، كالسل والديزنتاريا ، والتيفوئيد ، والبراتيقيويد ، والدفتيريا . وعدم العناية به قد يعرض متناوله لأخطار الأمراض والتسمم . على أن خطورة ما يسببه الحليب الملوث من أمراض يدفعنا إلى العمل على إبقائه سليما ، وما فيه من فوائد تدعونا إلى تناوله باستمرار ، وخاصة بالنسبة إلى الأطفال .

إن أسهل وسيلة معروفة للتأكد من سلامة الحليب هي تسخينه إلى درجة الغليان التي تقضي على جميع أنواع الجراثيم التي يحويها ، وهذه طريقة شائعة تمارسها معظم ربوات البيوت . غير أن غليان الحليب يكسبه طعم الطبخ الذي قد يجعل الأطفال يمجونه ويعرضون عن تناوله ، وفي الوقت نفسه يفقد الحليب بعضا من قيمته الغذائية . لهذا أخذ العلماء يفكرون في إيجاد وسيلة تحفظ للحليب سلامته وطعمه الطبيعي وقيمته الغذائية ، فنوصل العالم الفرنسي « لويس باستير » في الستينات من القرن التاسع عشر إلى طريقة مثلى عرفت باسم « البسترة » ، نسبة إليه . وتتلخص هذه الطريقة في تسخين الحليب إلى حرارة مقدارها

٦٢ درجة مئوية وإبقائه على هذه الدرجة مدة ثلاثين دقيقة ثم تبريده ، أو تسخين الحليب إلى حرارة مقدارها ٧٢ درجة مئوية وإبقائه على هذه الدرجة مدة خمس عشرة ثانية ثم تبريده . وفي كلا الحالتين يتم القضاء على جميع أنواع الجراثيم .

يبد أن بسترة الحليب لا تعطي الفائدة المرجوة ما لم تكن الأوعية التي يحفظ الحليب فيها ، حتى ساعة تناوله ، نظيفة معقمة ، وما لم يحفظ الحليب نفسه في جميع مراحل تداوله على درجة من البرودة تحول دون تكاثر البكتيريا . وهكذا أصبح من ضروريات المعامل التي تتعامل بالحليب ومشتقاته أن تكون على جانب كبير من النظافة ، وأن تستخدم المعدات والآنية والأوعية سهلة التنظيف ، وأن يكون لديها غرف تبريد يحفظ فيها الحليب على درجة حرارة منخفضة حتى ساعة تناوله .

ويعتبر مصنع الألبان الوطني الحديث الذي نحن بصددده ، أنموذجا حيا لهذا النوع من المعامل

يستهلك مراحل الإنتاج في مصنع يمزج الحليب المجفف بالماء وأعاده إلى حالة السيولة الطبيعية . وبعدئذ « يستر » الحليب ويعلب قسم منه للاستهلاك المباشر بينما يحال القسم الآخر إلى منتجات معينة كحليب الشوكولاته ، واللبن المخيض ، واللبن الرائب ، واللبن ، والبوظة على اختلاف أنواعها ، وبالتالي يعلب . ويبلغ معدل إنتاج مصنع اليوم حوالي ٢٠٠٠ لتر من الحليب العادي ، و ٥٠ ليتر من حليب الشوكولاته ، و ٢٢٥ ليتر من اللبن الرائب ، و ١٥٠٠ ليتر من اللبن المخيض ، وحوالي ٥٠ كيلوغراما من اللبن ، ونحو ٥٠٠ ليتر من البوظة . على أن طاقة مصنع القصوى تبلغ أضعاف أرقام الإنتاج الحالية

إنتاج المصنع وطاقته

يملك مصنع الألبان الوطني الأخوان عبد الله وإبراهيم المطرود . وقد بوشر في إنشائه منذ ستين تقريبا برأسمال يناهز ثلاثة ملايين ريال سعودي . وهو يقع جنوبي الخبر . وقد استوردت معظم

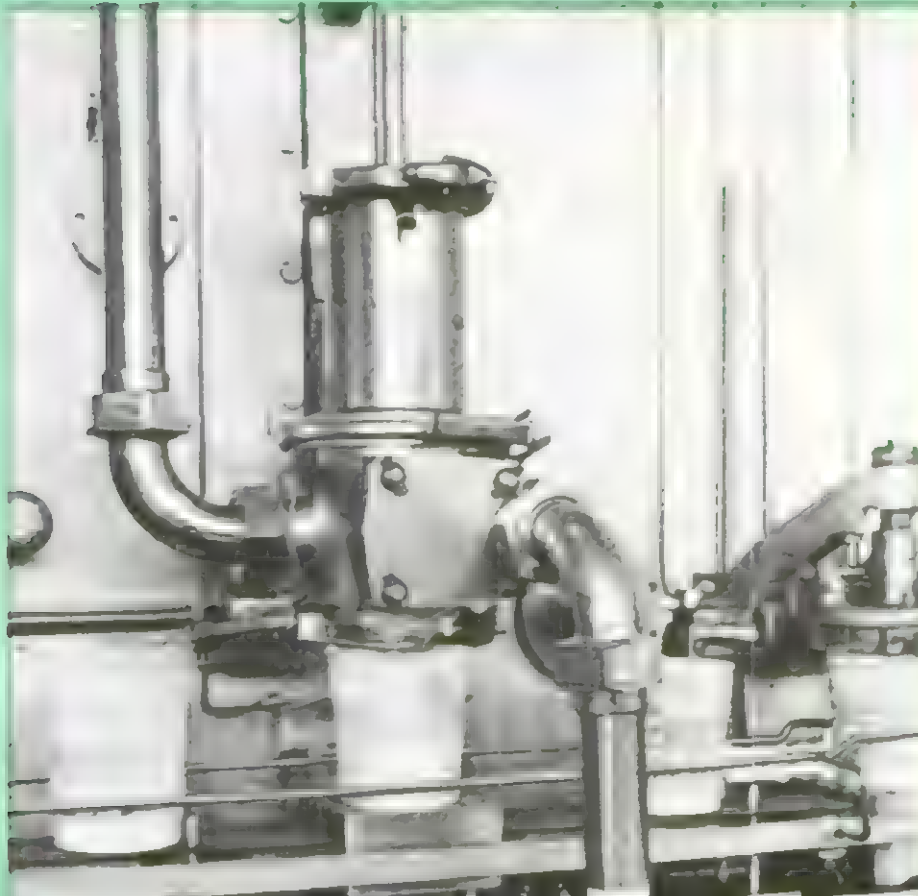
مصنع الألبان الوطني

٤٠



فني يرقب سير الأعمال في آلة تغليب الألبان .

تملب البوطة بطريقة آلية تضمن نظافة المنتجات وخلوها من الجراثيم .



اذ يستطيع أن ينتج يوميا ما يقارب ٢٨٠٠٠ لتر من الحليب بأنواعه ، و ٢٠٠٠ لتر من اللبن الرائب ، و ٦٠٠٠ لتر من البوطة بأنواعها ، و ٢٠٠٠ كيلو غرام من اللبنة .

غرفة التحضير والتعبئة

وهي قاعة رحية مكيفة بالهواء ، بلطت أرضها وجدرانها ببلاط سهل التنظيف ، أما الآلية والخزانات التي تستخدم لحفظ الحليب فمصنوعة من حديد لا يصدأ ، وهي مصممة بحيث يسهل غسلها جيدا . وجميعها يتصل بعضها ببعض بأنابيب فولاذية ذات مواصفات مماثلة . وتدفع المنتجات من الخزانات الى آلات التعبئة مضخات صغيرة . وجميع الخزانات مزودة بأجهزة للتسخين والتبريد بالإضافة الى موازين لضبط درجات الحرارة .

تحضير الحليب

يمزج الحليب المجفف بالكميات الضرورية من الماء في قمع كبير خاص . ثم يضخ المزيج الى أحد خزاني البسترة ، حيث يتعرض لطريقة البسترة السريعة ، أي تسخين الحليب الى ٧٢ درجة مئوية وإبقائه عليها مدة ١٥ ثانية . وبعدها يضخ الى آلة خاصة تقوم بخلطه جيدا للحيلولة دون طفو الزبدة على سطحه ، ثم الى آلة للتبريد حيث تنخفض حرارته الى ما دون ١٠ درجات مئوية . ومن هنالك يضخ الى أحد خزانات الحفظ الثلاثة ، حيث يبقى على درجة حرارة منخفضة ريثما تم تعبته آليا في علب من الكرتون تتراوح أحجامها بين ربع لتر ولتر ، وبالتالي تقل هذه العلب الى مستودع التبريد لحفظها تمهيدا لنقلها الى مخازن البيع .

تحضير المنتجات الأخرى

من الحليب والمبستر ، تحضر المنتجات الأخرى . فحليب الشوكولاتة مثلا يحضر بإضافة كمية معينة من الكاكاو الى كمية معينة من الحليب ، وخلطها جيدا ثم تغليبها ونقلها الى مستودعات التبريد . والبوطة بأنواعها تحضر بمزج الحليب والمبستر ، ثم إضافة مسحوق البوطة الخاص والنكهة المرادة اليه ، وضخه الى آلة خاصة تقوم بتجميده جزئيا ، وتغلبه في علب جاهزة تحفظ في صناديق من



تحفظ المنتجات في مستودعات التبريد على درجة حرارة منخفضة حتى ساعة خروجها الى الأسواق .

خبرة سابقة في هذا المضمار . ويتوقع أن يزداد عددهم فيما بعد الى حوالي ٢٠٠ موظف وذلك لدى مباشرة المصنع في عمليات البيع بالمفرق في الأسواق والأماكن العامة . والمعروف أن موظفي المصنع كافة يخضعون لفحص طبي بين فترة وأخرى للتأكد من سلامتهم وخلوهم من الأمراض . ويشترط على كل منهم الاستحمام وارتداء ملابس نظيفة موحدة ، يؤمنها المصنع ، قبل دخولهم اليه في كل يوم عمل . ويحظر عليهم التدخين أو تناول الطعام داخله .

جِلسَة ونِخاودَة

بعد تجوالنا في مختلف أقسام المصنع ، التقينا بالسيد عبد الله المطرود في مكتبه ، فأجربنا معه الحديث التالي :

• أين تبيعون منتجاتكم ؟
— في سائر مدن وقرى المنطقة الشرقية بما في ذلك

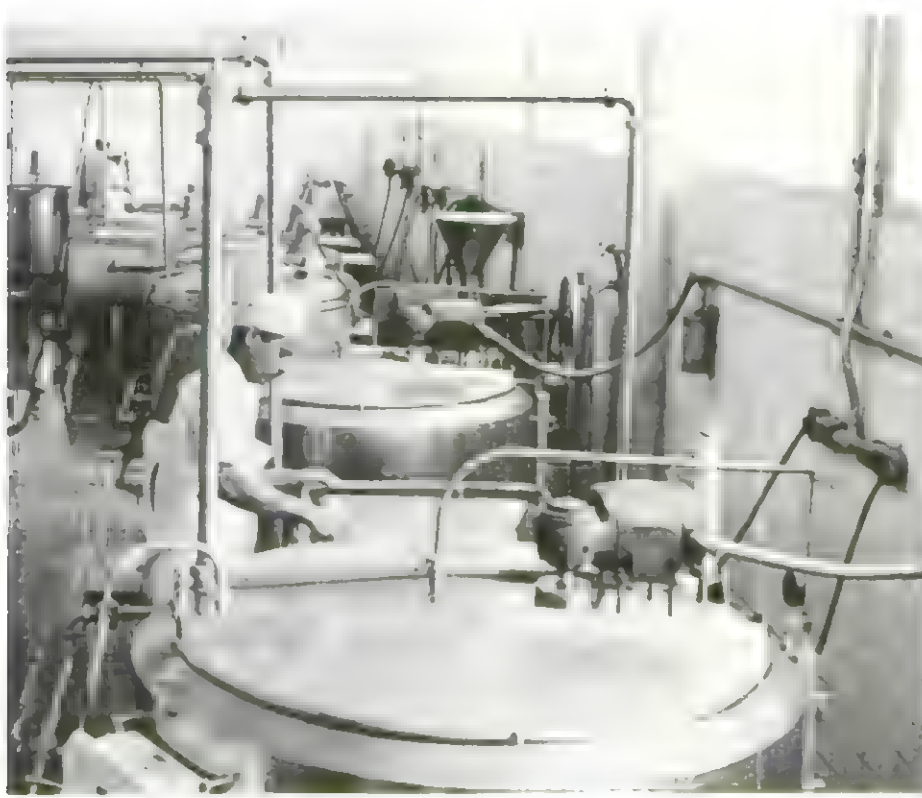
مستودعات التبريد والتجميد

وهما يتسعان لكميات كبيرة من الانتاج ، ومزودان بميزاني حرارة مثبتين في أعلى مدخل كل منهما بحيث يستطيع العامل المسؤول مراقبتهما وتعديل درجات الحرارة وفق ضرورة مراحل التصنيع دون الاضطرار الى الدخول اليهما . وهكذا تبقى حرارة مستودع التبريد على حوالي ٤ درجات مئوية . وحرارة مستودع التجميد على حوالي ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر . والجدير بالذكر أن العمال يرتدون أثناء عملهم داخل مستودعي التبريد والتجميد ثيابا واقية خاصة تحول دون تعرضهم للبرد الشديد .

الموظفون

يعمل في مصنع الألبان واللبوة الوطني فسي الخبر حوالي ٤٠ موظفا بين فني ومشغل وعامل وسائق ، معظمهم من العرب السعوديين الذين لهم

الكرتون ، تنقل بعد ذلك الى مستودع التبريد . أما اللبن الرائب فيجري استحضاره بتسخين الحليب الى ٩٥ درجة مئوية ، ثم تخفيض حرارته الى نحو ٤٥ درجة مئوية ، حيث يضاف قليل من بكتيريا التخمير اليه ، وبعد ذلك يحرك جيدا ، ثم يعبأ في علب ، ويوضع مدة ساعتين ونصف الساعة في غرفة التخمير على حرارة مناسبة تسمح بتكاثر بكتيريا التخمير . ومن ثم ينقل اللبن الى مستودع التبريد في انتظار شحنه الى الأسواق . وعملية استحضار اللبن المخيض ماثلة تقريبا لعملية استحضار اللبن الرائب باستثناء تفاوت بسيط في درجة الحرارة المستخدمة في ترويبه ، وفي مدة التخمير التي تقارب ثماني ساعات . أما عملية استحضار اللبنة فتتم بالطريقة المعروفة ، وهي وضع اللبن الرائب في أكياس نظيفة من القماش ، ريشما بتخلص من معظم الماء الذي فيه ، ويصبح على شكل معجون ، ثم يتم تعليبه ونقله الى مستودعات التبريد .



جانب من غرفة تحفير الألبان ، حيث يبذل الاهتمام بالنظافة واضحا .

مخازن البيع التابعة لآحياء سكن موظفي أرامكو الواقعة في الظهران ، وبقين ، ورأس تنورة .

• كيف توزعون هذه المنتجات ؟

— لدينا فروع للبيع في كل من الدمام والخبر ورحيمة ورضوى والمهوف ومجهزة بثلاجات ، وتقوم بتوزيع المنتجات إليها أربع سيارات خاصة مزودة بأجهزة للتبريد تحفظ المنتجات من التلف .

• هل تبشر مبيعاتكم بنجاح المشروع ؟

— ان الفترة التي عمل المصنع خلالها حتى الآن ، تعتبر فترة تجريبية ، ولكننا والحمد لله مرتاحون جدا لما تلاقه منتجاتنا من رواج في الأسواق .

• هل تتون توزيع منتجاتكم خارج المنطقة الشرقية ؟

— أجل ، ولكن بعد التأكد من نجاح المشروع في المنطقة الشرقية أولا . وعندئذ قد نحتاج الى اجراء بعض التوسعات على المعمل .

• ما هي المشاريع التي تتون انجازها في القريب العاجل ؟

— جلب المزيد من سيارات التوزيع ، والعربات المتنقلة لبيع المنتجات بالمفرق في الأسواق والمدارس والمؤسسات العامة .

• وما هي المشاريع التي تتون تنفيذها في المستقبل ؟

— انشاء مزارع للأبقار وزييتها ، كي يصبح الانتاج محليا مائة في المائة ■

• ع • ع

ونتقل المنتجات الى الأسواق في سيارات خاصة مزودة بأجهزة للتبريد .

مصنع الألبان الوطني

ALKHOBAR

NATIONAL DAIRY PLANT

نور الحبيب

للشاعر محمد ابراهيم جبرع

كم أنت يا نور الحياة أثبتت في أبهى الخلال
ورعيت قلبا في الكفاح وفي النضال وفي العمل
ورفعت نشأ بالعلوم ولهم ترفع من جهل
مدوا الى الأفق أسباب التقدم فأنتم
وبراعهم أنشأن أفكارا وأعطين المثل
قد أينعت أزهارها وتفتح الورد المطل
أدوا دراستهم باخلاص وعزم مكتمل
فحققت آمالهم ورنيت لبهجتها المقل
اني أحببي عزمهم وأشد بالبانبي الأجل

كم أنت يا نور الحياة منحتنا حب الكفاح
ونضالنا في العمر نعي للفضيلة والنجاح
وجهادنا للعز والاقدام في درب الفلاح
ولأنت رائدنا ورائد فتية راموا الصلاح
حفزتنا للمجد نعمل في غلو أو رواح
فحققت أهدافنا ورننا لموكبها الصباح
ضحكت لنا الأيام في جذل وعشنا في ارتياح
في فرحة بصلاحنا زال العناء بها وراح
إننا بظلك نرتقي أملا وإن كل الجناح
وتفويض أنفسنا رجاء بالمودة والسماح

عصا المجهنون

وعصاه الغليظة ، لا يجيب نداءات انسان . ولا يلتفت للمعرض طريقه ، حتى وصل متهدى « سويقة » ، ووقف عند متجر كبير ، ثم نظر في صاحبه نظرات طويلة ، وارتفع صوته بالبكاء طويلا ، ثم تحول البكاء الى ضحك صاحب متواصل لحظات من الوقت ، وتلصص حتى قارب واجهة المتجر ، وألقى بنفسه في داخله . واتكأ على عصاه ، وقال لصاحب المتجر :

— شاي .. بسرعة أعطني شاي .
وجلس وعصاه في أحضانه ينتظر الشاي المطلوب . واقترب منه صاحب المتجر ، وقال له :

— لماذا بكيت ؟؟
— عندما رأيت وجهك .
— وهل وجهي يبكيك ؟؟
— نعم . ويضحكي أيضا .
— كيف ؟؟
— عندما نظرت الى وجهك في البداية ، شاهدت فيه الطيبة والحنان ، وتذكرت أمي التي ماتت منذ سنتين ، وبكيت . ثم رأيتك تضحك علي .
— شاهدت في ضحكك صورة امرأة أبي ، فقد لاقيت منها العذاب الكثير . كانت تبكي « بيا كورة » ، ثم تطلب مني الضحك وأنا أبكي ، وضحكت .. كأنني ضحكك عليها .

فردّ الناس أن يروه في كل يوم .. يتسكع بين متاجر « سويقة » ، ويقف عند أصحابها دقائق ، يمازحهم ، ويضحك بأسلوب ملفت للنظر والسمع ، ويبدى ألوانا من الحركات المغرقة في الضحك . وتحت ابطه يحمل عصا غليظة ، يرفعها على كل من يتعرض لأذاه ، وعلى رأسه يضع « طاقة » تتخذ شكل القبة فيبدو وكأنه « بلياتشو » ، ويحلو للناس أن يداعبوه وينزعوا منه غطاء رأسه أو عصاه العزيزة عليه ، فيعدو خلفهم ، ويشو جلبة من الضحك بين الباعة والمشتريين . ولكنه لم يقدم يوما على ضرب انسان بتلك العصا الثقيلة .. بل كان يحلو له أن يستعرض أنواعا عديدة من السباب ، يلونها بفن ، ويقذف بها المعرضين له . ويحلو له هو — أيضا — أن يجعل من متاجر من يداعبونه متكأ ، ومستراحا ، فيحل عليهم في منتصف النهار . أو قبله ، يطالبهم بالشاي ، وغير الشاي . ومن يقابله بالعناد والنكال يعرض متجره لضربات متتالية من عصاه .. ضربات في الخشب فقط ، ثم يولي هاربا وكأنه أسأل دماء كثيرة .

وشاهد ذات صباح وهو يجري مسرعا بقدميه الخافيتين دائما ، وطاقيته التي تشبه « الخيمة »

بقلم الأستاذ

عبد الله عبد الرحمن جفري

ماهي البلهارسيا؟

« البلهارسيا » وباء تسببه طفيليات تنتقل الى دم الانسان عن طريق ملامسة الجسم مياهها موبوءة . فالطفيليات التي تسبح في الماء تخترق مسام الجلد أثناء الملامسة ، وتدخل الى مجاري الدم لتنتقل عبرها ، وتستقر في الكبد أو الطحال أو في الأوعية الدموية المحيطة بالمثانة أو الامعاء ، حسب نوعها ، فاذا كانت الطفيليات من النوع الذي يستقر في الأوعية الدموية المحيطة بالمثانة ، سببت للمصاب آلاما واضطرابات يصحبها تغير في لون البول ، فيصبح مائلا الى الاحمرار بسبب خروج بعض الدم معه . اما اذا كانت الطفيليات من النوع الذي يستقر في الأوعية الدموية المحيطة بالامعاء ، سببت للمصاب ألما شديدا في المعدة ، يعقبه عادة اسهال ، ثم امساك .

كيفية انتشار مرض البلهارسيا

تضع الطفيليات بيضها في جسم المصاب ، تبعا للمكان الذي تستقر فيه ، وتخرج البيوض من الجسم مع بول المصاب أو غائطه ، فاذا ما تيسر وصولها الى الماء النقي ، بطريقة أو بأخرى ، تطورت الى يرقات دودية تسبح في الماء بحثا عن أنواع معينة من الحلزون تخترقها لتكاثر وتتوالد ، ثم تمر في مرحلة أخرى من مراحل نموها تكون فيها أكثر تكاملا ونضوجا . وبعد ذلك تغادر اليرقات الحلزون بحثا عن الانسان . ومن المعروف أن هذه اليرقات تظل نشطة مدة يومين ، فاذا استطاعت الوصول الى جسم الانسان خلال هذه الفترة اخترقت الجلد لتبدأ دورة حياة جديدة ، والا ماتت واندثرت .

وهكذا نجد أن عدوى البلهارسيا لا تنتقل من انسان الى آخر مالم يتوفر وسيطان : الماء والحلزون . فاذا ما انعدم أحدهما ، تعذر انتقال العدوى . ومعالجة مياه الآبار القديمة والبرك والقنوات والمستنقعات بمبيدات كيميائية خاصة يقضي على الحلزون الوسيط ، وبالتالي على طفيليات المرض .

تاريخ البلهارسيا

يكثر انتشار البلهارسيا في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية . ولعل مصر هي أقدم بلد عرف هذا المرض . فقد أشار أكثر من مرجع طبي قديم الى أن نوعا معيناً من طفيليات البلهارسيا



الدكتور « ايفان اليو » أثناء جمعه عينات من الحلزون الناقل لطفيليات البلهارسيا .



تفحص عينات البول كخطوة ثانية تحت المجهر للتأكد مما اذا كانت تحتوي على طفيليات .

يعرف باسم « تشتاسوما هيماتوبوم » كان قد عثر عليه في موميا مصرية يرجع تاريخها الى حوالي ١٢٠٠ سنة قبل الميلاد .

وتذكر المصادر التاريخية ان أول اصابة بوباء البلهارسيا ظهرت بين الأوروبيين كانت بين جنود نابليون بونابرت أثناء وجودهم في مصر ما بين عامي ١٧٩٩ و ١٨٠١ ، فقد لاحظ جراح الجيش المشهور الدكتور « بارون لاري » ، ان عددا كبيرا من الجنود يشكون من وجود دم في البول . وورد في كتاب (Description De L' Egypte) الذي نشر في فرنسا آنذاك ، وصف دقيق للحلزونة البلهارسيا مع أن مؤلف الكتاب كان يجهل طبيعة العلاقة بين الحلزونة ووجود الدم في البول . وبقيت هذه العلاقة مجهولة أكثر من نصف قرن من الزمان ، حتى تسنى لعالم الطفيليات الألماني « ثيودور بلهارز » كشف النقاب عنها عام ١٨٤٩ م . فقد تيسر لهذا العالم زيارة مصر عام ١٨٥٠ والعمل فيها كعالم تشريح ، مما أتاح له فرصة دراسة الطفيليات واكتشاف عدد كبير منها . على ان أهم اكتشاف حققه ، هو اكتشاف طفيليات « التشتاسوما » وعلاقتها بالدم الذي يظهر في بول المصابين . وقد نوه بهذا الاكتشاف في رسائل ثلاث بعث بها الى استاذ « فون سويبولد » عام ١٨٥١ ، شرح له فيها التفاصيل المتعلقة باكتشافه . فقام الأخير بنشر نبذ من هذه الرسائل مع تعليقاته الخاصة عليها ، في مجلة « علم الحيوان » الألمانية عام ١٨٥٣ .

وبعد سنوات قليلة تبين للدارسين ان مرض البلهارسيا لا يقتصر انتشاره على مصر فقط ، بل يمكن أن يشمل أيضا مناطق أخرى من العالم . كما أن اصابته غير مقصورة على الانسان . فقد اكتشف « كوبولد » طفيليات مشابهة للطفيليات التي اكتشفها « بلهارز » ، في جسم قرد يحتضر ، في إحدى حدائق الحيوان في لندن ، فاقترح بأن يسمى هذا النوع من الطفيليات باسم « البلهارسيا » نسبة لاسم مكتشفها . ولعل أول ما لفت النظر الى انتشار البلهارسيا خارج مصر هو الطبيب البريطاني « جون هارلي » . فعلى الرغم من جهله بالمناطق الاستوائية جاءه في عيادته في لندن أحد المصابين بالبلهارسيا تبين له من سؤاله اياه انه كان يقطن في رأس الرجاء الصالح ، وأنه لم يزر مصر قط . وفي الوقت نفسه ، أخبره المصاب بأن ظهور الدم في البول شائع الانتشار في منطقة رأس الرجاء الصالح . وقد تأكد الدكتور « هارلي »

المجهر . وبعد اجراء الفحوص والاختبارات المعينة ، تسجل النتائج في سجلات خاصة يعتمد عليها في تحديد نسبة انتشار المرض في البقاع التي جرت زيارتها .

بدأت الفرقة برئاسة الدكتور « ايغان أليو » اختصاصي تشخيص الأوبئة في مركز الظهران الصحي ، بهذه الدراسة الواسعة في أغسطس عام ١٩٦٥ وانتهت منها في يونيو عام ١٩٦٧ . وقد قامت خلال هذه المدة بأكثر من خمس عشرة رحلة مختلفة شملت حوالي ٦٠ في المائة من المناطق المهمة في المملكة ، كعسير ، ونجران ، ونجد ، والحجاز ، والمنطقة الشرقية ، والمنطقة الشمالية ، والربع الخالي . ويجري الآن اعداد المعلومات ، التي تم جمعها وتصنيفها ، لتبقى مرجعا معتمدا في مكافحة هذا المرض الوبيل . وستقدم نتائج هذه الدراسة في تقرير مفصل الى وزارة الصحة .

عصا لعماد

الجزيرة العربية منذ ذلك العهد . وهي منتشرة في المناطق المحيطة بالجزيرة ، كالعراق وسوريا والأردن ولبنان ، منذ أمد بعيد .

ومؤخرا أجري احصاء شامل للاصابات بهذا المرض في المملكة العربية السعودية دام عشر سنوات ، كشف عن أن معظم الاصابات محصورة بين أبناء المناطق الشمالية والغربية والوسطى من المملكة ، وأن معدل الاصابات بين الافراد الذين تقل أعمارهم عن العشرين سنة هو أكثر مما هو عليه بين الافراد الأكبر سنا . لذلك نظمت هذه الحملة الدراسية لمواطن انتشار هذا المرض في المملكة التي تبدأ بزيارة يتابع المياه والبرك والمستنقعات والآبار القديمة ، وأخذ عينات من مياهها بحثا عن الحلزونات الناقل للمرض . وفي حال العثور على أنواع معينة منه يجمع الفريق الصحي معلومات عن أعراض المرض . كما يأخذون عينات من البول والغائط لمجموعة من الأطفال . تمهيدا لفحصها وتحليلها تحت

من صحة هذه المعلومات عن طريق طبيب آخر كان يعمل في المنطقة نفسها ، وعلى اثر ذلك قام الدكتور هارلي بفحص عينات من بول أطفال تلك المنطقة أسفرت عن وجود بيض البلهارسيا فيها . وبقي العلم في حيرة من أمر انتقال عدوى « البلهارسيا » رغم الدراسات الواسعة التي أجريت حول هذا الموضوع ، والتي شارك فيها نخبة من العلماء فترة تربو على نصف قرن ، الى أن استطاع العالم « لياير » استكمال معرفة مراحل نمو طفيليات البلهارسيا وتكاثرها ، والتأكد من وجود أكثر من نوع من الطفيليات المسببة لهذا المرض .

البلهارسيا في الجزيرة العربية

ذكر البكري في « معجم ما استعجم » (ان غدير « الطفيتين » الواقع شمالي المدينة المنورة ، هو أعذب ما يشرب ، الا انه يبييل الدم) . وذلك يدل على أن البلهارسيا كانت منتشرة في



تصوير : خليل أبو النصر

بعد الفحص المجهرى ، يقوم الطبيب بفحص كبد الطفل لمعرفة ما اذا كانت متضخمة .

الدكتور أيفانغ اليو ومساعدته السيد مهابر
الرومي في أنشاد قناتهما. يجمع عينات الحارزون
النافلة لودبار البهااريا. (مراجعة المقالة)
نشر في مجلة البهااريا

